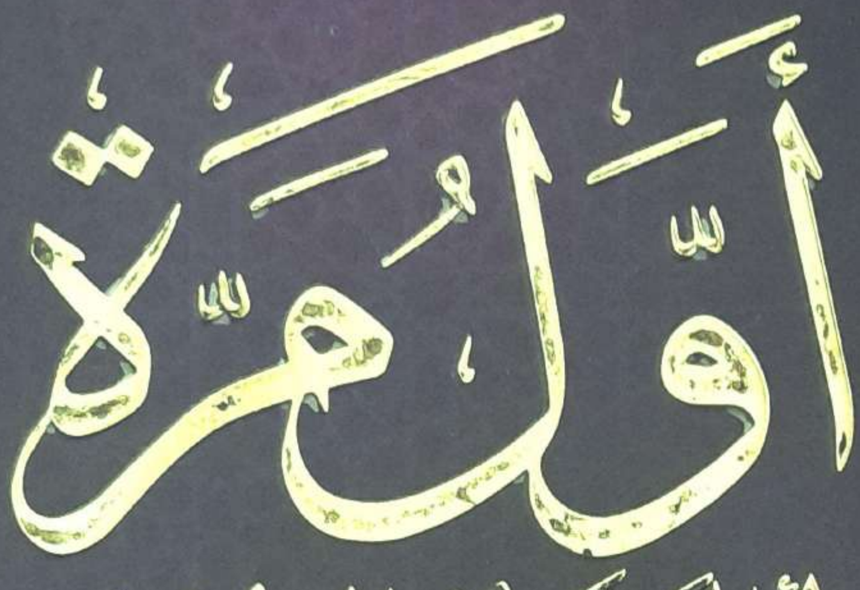
الطبعة الأولى





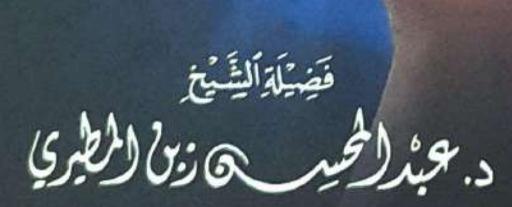
تأليف
عادل محمد خليل (أبو آدم)

تقديم

فضيلة الشيخ
د. محمد الحمود النجدي

فضيلة الشيخ
د. عبد المحسن زبن المطيري

فضيلة الشيخ
فهد بن سالم الكندري




أول مرة
أتلذذ بالدعاء



تقديم

فضيلة الشيخ
د. محمد الحمود النجدي

فضيلة الشيخ
د. عبد المحسن زبن المطيري

فضيلة الشيخ
فهد بن سالم الكندري

فضيلة الشيخ
د. حسن الحسيني

إهداء

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

الدُّعَاء

قال اللَّه - تعالى-: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠].

* قيل في معناها: ادعوني بلا غفلة أستجب لكم بلا مهلة.
* وقيل: ادعوني بلا جفاء، أستجب لكم بالوفاء.
* وقيل: ادعوني بصدق، أستجب لكم مع العطاء.

تقديم الشيخ الدكتور
محمد الحمود النجدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه، والصلاة والسلام على رسول اللَّه، وآله وصحبه، وبعد:

فللدُعاء فضائل جمَّة، يأتي في مقدمتها أنه عبادةٌ عظيمة من أعظم العبادات، بل حَصَر النبي ﷺ العبادة في الدُّعاء، وذلك في قوله ﷺ: «إنَّ الدُّعاءَ هو العبادة»، رواه أحمد والترمذي.

ومعناه: أن الدعاء معظم العبادة، أو هو أصلها.

وقد حثَّنا اللَّه تعالى على الدُّعاء في آيات كثيرة من كتابه العزيز، فقال سبحانه: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥ - ٥٦].

والدعاء هو وصية اللَّه تعالى لعباده، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقد وعد اللَّه عباده باستجابة الدعاء، بقضاءِ الحاجاتِ الدنيويّة والأخرويّة، ورفع الكربات، ودفع الشرور والمكروهات في الدنيا والآخرة، وتكون الأدعية وفقاً للأدعية المأثورة في القرآن الكريم، وأسماء اللَّه الحسنى، والسنة النبوية الشريفة.

وقد اطلعت على كتاب الأخ الفاضل/ عادل محمد خليل، وفقه اللَّه، المسمَّى: «أول مرّة أتلذذ بالدعاء»، وفيه مباحث ومسائل مفيدة، وتنبيهات مهمة، في هذا الطاعة المباركة.

نسأل اللَّه تعالى أنْ ينفع به كاتبه وقارئه وناشره، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وصلى اللَّه على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكتبه

د. محمد الحمود النجدي

٢٧ ربيع الأول ١٤٤٠هـ

تقديم الشيخ الدكتور

عبد المحسن بن زبن المطيري

الحمد للَّه رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد قرأت كتاب «أول مرة اتلذذ بالدعاء» للداعية الموفق الشيخ عادل محمد خليل فوجدته بجمال كتابه السابق «أول مرة أتدبر القرآن»، يبرز أسرار الدعاء وفضله وآثاره، ومدى حاجة الإنسان إليه، حتى تشعر في نهاية الكتاب أنك غريق والدعاء هو طوق النجاة، وبمثل هذا الشعور من الإفتقار والإنكسار والتذلل للَّه تعالى تتحقق كمال العبودية، ومن هنا نفهم قوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة» فأكده

بتعريف الطرفين والضمير المنفصل.

فدونكم كتاب يعرفكم حقيقة العبادة، أسأل اللَّه أن يجزي كاتبه وقارئه خير الجزاء وخير النوال.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين

أ.د. عبد المحسن بن زبن المطيري

تقديم الشيخ

فهد بن سالم الكندري

الحمد للَّه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد و لم يولد، و لم يكن له كفواً أحد.

والصلاة والسلام على خير خلقه محمد، قائدنا، وقدوتنا، ومعلمنا، وعلى آله وصحبه وسلم.. أما بعد،،،

فلا شك أن الدعاء من أعظم العبادات في الإسلام، ومن فضل اللَّه علينا أن يسر لنا الدعاء، فلا نحتاج إلى لغة معينة، ولا موعد محدد، ولا صوت مرتفع.

وإن سألت كيف أسأل اللَّه، يجيبك القرآن: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وللأسف مع هذا التيسير في الدعاء، فإن الكثير يغفل

عنه، والبعض يجهل فضائله، والعديد لم يكتشف أسراره وكنوزه.

وهذا ما وجدته في هذا الكتاب القيّم الذي اطلعت عليه، كتاب «أول مرة أتلذذ بالدعاء» للشيخ عادل محمد خليل، وقد لفت نظري سهولة طرحه، وعمق معانيه، ووصول كلماته الى القلب، وقد وقف عليها بوقفات وتأملات تزيد من إيمان العبد، و تعظم رغبته فيما عند ربه، وتجعله يستشعر لذة الدعاء، ويجد بها حلاوة المناجاة، والتضرع بين يدي اللّٰه.

فأنصح باقتناء هذا الكتاب والاستفادة منه، و أسأل اللّٰه سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا الكتاب القارئ، والكاتب، والناشر، و أن يكتب لي أجر معهم.

أخوكم / فهد بن سالم الكندري
إمام المسجد الكبير
دولة الكويت

تقديم الشيخ الدكتور
حسن الحسيني

الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إنّ في الدعاء سحرًا عظيمًا وسرًّا خفيًا، يبثُ في نفس الداعي أملًا وطمأنينةً، وهمّةً وسكينة!! سلْ عن أثره أولئك العباد الذين يداومون على عبادة الدعاء، سينبؤونك عن خبره وسرّه وسحره!!

لذلك إن رأيتَ عبدًا وفقه اللَّه لإحدى ثلاث: كثرة الدعاء، أو إطالة الدعاء، أو الالحاح في الدعاء.. فاعلم أنه مؤمن!! بل وعده اللَّه بالهداية إلى سبيل الرشاد.. اقرؤوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ

﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

أما المخذول فهو الذي لا يدعو اللّه إلا نادرًا أو غافلًا أو باردًا، فأنّى يستجاب له؟؟ لذلك عن صحّ عن النبي ﷺ قوله: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ» رواه الترمذي.

وقد أحسن أخونا الشيخ/ عادل محمد خليل، في كتابه «أول مرة أتلذذ بالدعاء»، فأتى بلطائف ماتعة، وفوائد نافعة، فيما يتعلق بعبادة الدعاء، التي هي من أجل العبادات، وأنفع القربات.

فأسأل اللّه عز وجل لهذا الكتاب القبول، كما كتب لكتاب: «أول مرة أتدبر القرآن» القبول وسعة الانتشار، وأن يجعله مباركا، ويكتب أجره لكاتبه وقارئه وناشره، واللّه ولى التوفيق.

أخوكم الشيخ/ د. حسن الحسيني

مقدمة

الحمد للَّه الذي خلَق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور، الحمد للَّه الذي أسبغ علينا نِعَمَه، ظاهرةً وباطنةً، الحليم، الستير، الغفور، الشكور. الحمد للَّه الذي بيده مقاليد كل شيء، وإليه تُرْجَع الأمور، سامِع الدعوات، مُقِيل العثرات، كاشِف البليَّات، لا تختلف عليه اللهجات، وهو عليم بذات الصدور.

وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله وصفيُّه من خلقه، وخليله.

أما بعد:

فإنَّ الإنسان إذا أصابه فَرَحٌ أسرع إلى أحبِّ الناس إليه ليخبره. لماذا؟ بسبب قوة الترابط، وقوة العلاقة بينهما، وعِلْمِه بالتالي أن حبيبه سيفرح له، ولن يحسده.

وكذلك إذا أصابه هَمٌّ أو كربٌ أو وقع في مشكلة ما، فيسرع إلى أحب الناس إليه أيضًا. قد لا يستطيع حبيبُه حلَّ مشكلته، ولا كَشْفَ كَرْبه، لكن على الأقل سيريح قلبه بالحديث إليه، ويخفِّف عنه بعض هَمِّه، ويشاطره حزنه.

فكيف بحبيبٍ قريبٍ كريمٍ رحيمٍ قادرٍ على كشف كربك وحلِّ مشكلتك، بل جميع مشكلاتك، ويعلم همّك، وحزنك، وشكواك، وإنْ لم تُحْسِن بَثَّها، وإن لم تُحْسِن التعبير عنها، بل إنه يعلم ذلك كُلَّه حتى قبل أن تحكي؟!

بل إنه يحب كلما تجدَّد لك حزنٌ، أو همٌّ أن تحكي له، وإذا أَلَمَّ بك كربٌ أن تشكو له، أو ابتُلِيتَ بمرضٍ، أو وقعت بك نازلةٌ أن تسأله، ولو كل ساعة، ولو كل لحظة، لا يَملُّ أبدًا، ليس كباقي الأحبّة، قد يَمَلُّون، أو يَضْجَرُون، وقد لا يُحْسِنُون الإنصات إليك، ويضيقون بك ذرعًا.

فكيف بحبيبٍ أرحم بك من أُمّك التي ولدتك، بل هو أرحم بك من نفسك التي بين جنبيك؟!

أليس هو أولى من كل حبيبٍ ومن كل قريبٍ.. بلى

وهو أرحم الراحمين.

ومن مظاهر رحمة اللَّه بنا أن شرَع لنا الدعاء، وفتح له باب السماء، يرفع الناس إليه حوائجهم، ويبثُّون همومهم، ويَحْكُون آمالهم ورجاءهم، فللّه دَرُّ الحاجات والهموم، كم قادتنا إلى اللَّه!، وجدَّدت قلوبنا!، وأحيت معاني العبودية في أرواحنا!، وألهمتنا حرارة الدعاء!

ولا شيء أكرم على اللَّه سبحانه من الدعاء؛ أَمَر به، ووعَد بالإجابة، عطاؤه إحسانٌ، ومَنْعُه لُطْفٌ، واختيارُه للعبد خيرٌ مِن اختيار العبد لنفسه.

وكما قيل: أنتَ تسأل ما تريد، واللَّه يعطيك ما ينفعك.

ومن تأمل أحوال مجابي الدعوة من الصالحين أو الدعوات المستجابة عند اللَّه الكريم المنَّان وجَد أن الأمر يدور حول خضوع قلب الداعي، واستشعاره الفقر لمن يدعوه، وحاجته إليه، وأنه لا غِنَى له عنه طرفة عين، ولا حول ولا طاقة له إلا به سبحانه؛ مما يلزم قلبه التقلب في معاني أسماء اللَّه وصفاته والعيش معها بوجدانه، وبكل ذرَّة من كيانه. فإذا

كان هذا حاله مع ربه عند دعائه أيتجرأ على معصيته وهو يدعوه؟! أيتعدى حدوده وهو لا يستغني عنه؟! أيتعرض لمواضع سخطه وهو يتقلب في نعمه؟! قال اللَّه -تعالى-: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة ١٨٥]؛ فأمرهم أن يستجيبوا له، وأن يؤمنوا به؛ ليجيب دعاءهم.

لعلك -أيها القارئ الكريم- وقفتَ الآن على السبب الذي كان يجعل كثيرًا من سلفنا الصالح -رضوان اللَّه عليهم- يستحيون الطلب من اللَّه قبل أن يستغفروا، وهذا كثيرٌ في القرآن. بل قد يستغفرون ولا يطلبون؛ لعلمهم أن الذنوب هي سبب مصائبهم، وهي التي تمنعهم الخير. وهم مع فضلهم لا يدَّعون العصمة، فكل بني آدم خطَّاء. ولما مُنِعَ القَطْر على عهد عمر لم يزد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الاستغفار شيئًا.

فتأمل -رعاك اللَّه- أحوالَهم وفِقْهَهم، فستعلم حينها أن العبد كلما كان قلبه مليئًا بالخير فهو إلى الإجابة أقرب، وكلما كان القلب غافلاً ولاهيًا فهو عن الإجابة أبعد.

نسأل اللَّه أن يملأ قلوبنا بحبِّه وخشيته، وأن يحييها بذكره وطاعته، ويؤنسها بقربه ولذة مناجاته.

وكتبه؛ الفقير إلى عفو ربه الجليل

عادل محمد خليل

١

حاجتنا إلى الدعاء

* حين يَغْشَاك هَمٌّ
قد يعلم سببه غيرُك، لكنْ لا يَعْلم قَدْرَه في قلبك إلا اللَّهُ..

* حين يُثْقِل كاهِلَك دَيْنٌ
قد يعلم قَدْرَه غيرُك، لكنْ لا يعلم كيف يُقْضَى إلا اللَّهُ..

* حين تُتَّهَمُ ظلمًا وتَلْتَبِس الحقائقُ
قد يَشُكُّ بك غيرُك، لكنْ لا يعلم الحقيقةَ ولا يُصَدِّقك إلا اللَّهُ..

* حين تَفْقِد حبيبًا أو تُفارِق عزيزًا
قد يواسيك بعضَ الوقت غيرُك، لَكِنْ لا يَجْبُرُ كَسْر

قلبك دائمًا إلا اللَّهُ . .

* حين تختلط عليك الأمور ويَصْعُب عليك الاختيار قد يجتهد في نصيحتك غيرُك، لكنْ لا يختار أفضل وأخْيَر الأمور لك إلا اللَّهُ . .

* حين يَهْجُم عليك البلاءُ، ويشتدُ بك الكَرْبُ، وتضيق عليك الدنيا، ولا يقدر على إنجائك أحدٌ من العالمين . .

فاعلم أنَّ اللَّه قادِرٌ على إنجائك في طرفة عين.

* * * * *

فقط توجَّه بقلبك، وأَخْرِج حاجتك وهمَّك على لسانك، وادعُ ربَّك . .

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

واعلم -أيها الكريم- أنَّه إن كانت لك حاجةٌ، وليس لك قُدْرَةٌ؛ فإنَّ لك ربًا له قُدْرَةٌ، وليس له حاجة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

ومهما كان طلبك، ومهما بلغتْ حاجتك، ومهما كان بلاؤك ..... فاعلم أن حاجتك عنده وحده سبحانه، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨- ٨٠].

فأَنْزِلْ -أيها المبارك- حاجتك وفاقتك به، ولا تلتفت إلى أحدٍ من الناس، فإنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «من أصابته فاقةٌ فأنزلها بالنَّاس لم تُسَدَّ فاقتُه، ومن أنزلها باللَّه أوشك اللَّه له بالغِنَى» [رواه أبو داود والترمذيُّ وحسَّنه الألباني في مشكاة المصابيح ١/ ٥٨٠].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

٢

فضائل الدعـاء

قال مطرف بن عبد اللَّه: «تذاكرت جِمَاع الخير فإذا الخير كثير: الصيام، والصلاة، وإذا هو في يد اللَّه تعالى، وإذا أنت لا تقدر على ما في يد اللَّه إلا أن تسأله فيعطيك، فإذا جماع الخير: الدعاء» [مدارج السالكين].

* الدعاء هو العبادة:

عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الدُّعاء هو العبادة»، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. [أخرجه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣/ ١٥٠].

فالدعاء مِن أفضل العبادات؛ فالدعاءُ لا يُشتَرَط له شروطٌ كباقي العبادات، فأينما أحببتَ أن تدعو ربك فادعُ، ووقتما تحب أن تدعو ربك فادعُ، على أيِّ حال كنتَ، إذا أردت أن تدعو ربك فادعُ.

كما أنَّ مَن دعا اللَّه -سبحانه- فقد تعبَّد للَّه بمقتضى أسمائه وصفاته، وهذا مِن أجلّ العبادات، قال ابن عقيل رَحِمَهُ اللَّهُ: **«في الدعاء معانٍ جليلة:**

أحدها: الوجود، فإنَّ مَنْ ليس بموجودٍ لا يُدْعَى.

الثّاني: الغِنَى، فإنَّ الفقير لا يُدْعَى.

الثالث: السمع، فإنَّ الأصم لا يُدْعَى.

الرّابع: الكرم، فإنّ البخيل لا يُدْعَى.

الخامس: الرّحمة، فإنَّ القاسي لا يُدْعَى.

السّادس: القدرة، فإنَّ العاجز لا يُدْعَى».

*** الدعاء مِن أحبّ العبادات إلى اللّه -تعالى-:**

فاللَّه -تعالى- يغضب إذا لم يسأله عباده حاجاتهم، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَن لَمْ يسألِ اللَّه يَغْضَبْ عليه» [أخرجه أحمد والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٣/١٣٨].

وذلك لأنَّ تَرْكَ السّؤال تكبّرٌ واستغناءٌ، وهذا لا يليق للعبد. والمراد بالغضب تخويف العبد العقوبة. والسّؤال فيه إظهار شعائر الانكسار، والإقرار بالعجز والافتقار. [مرقاة المفاتيح ٤/ ١٥٣٠].

وقيل في سبب (يَغْضَب عليه): لأنه إما قَانِطٌ، وإما مُتَكَبِّرٌ، وكلُّ واحدٍ من الأمرين مُوجِبٌ للغضب، وقد قال اللَّه في حق القانطين: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، والقنوط: هو سُوء ظَنٍّ باللَّه ويأسٌ من رحمته، وهو من الكبائر، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ [غافر: ٦٠] أي: عن دعائي، فهو -سبحانه- يُحِبُّ أن يُسْأَل وأنْ يُلَحَّ عليه، ومَن

لم يَسْأله يُبْغِضه ويغضب عليه.

وقد أحسن القائل:

لا تسألنَّ بُنَيّ آدم حاجةً
وسلِ الذي أبوابهُ لا تُحْجَبُ
اللَّه يغضبُ إن تركتَ سؤالَه
وبُنَيّ آدم حين يُسْأَل يَغْضَبُ

[فيض القدير ٣/ ١٢]

* الدعاء أكرم شيء على اللَّه تعالى:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ليس شيءٌ أكرم على اللَّه تعالى من الدعاء» [أخرجه أحمد والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي٣/ ١٣٨].

والمقصود: «ليس أفضل عند اللَّه من الدُّعاء؛ لأنَّ فيه إظهار الفقر والعجز والتّذلُّل والاعتراف بقوَّة اللَّه وقُدْرته» [تحفة الأحوذي٩/ ٣١٨].

* لا يَرُدُّ القَدَر إلا الدعاءُ:

عن سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يَرُدُّ القضاءَ إلا الدعاءُ، ولا يَزِيدُ في العمر إلا البِرُّ» [أخرجه أحمد والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢/ ٢٢٥].

«والمقصود: أنَّ رَدّ البلاء بالدعاء، مِن قضاء اللَّه

أيضًا؛ فالدعاء سببٌ لردِّ البلاء، ووجود الرحمة، كما أنَّ التُرْسَ سببٌ لدفع السَّهْم» [قوت المغتذي للسيوطي١/ ٥٠٠].

قال ابن عثيمين: «كم مِن إنسانٍ افتقر غاية الافتقار حتى كاد يهلك، فإذا دعا أجاب اللَّه دعاءه! وكم من إنسان مَرِضَ حتى أَيِسَ مِن الحياة فيدعو فيستجيب اللَّه دعاءه» [شرح الأربعين النووية].

واعلم -أيها الكريم-أنَّ للدعاء مع البلاء ثلاثة مقامات:

١ - أن يكون الدعاء أقوى من البلاء، فيدفعه.

٢ - أن يكون أضعف من البلاء، فيقوى عليه البلاء، فيُصاب به العبد، ولكن يخفِّفه وإن كان ضعيفًا.

٣ - أن يتقاوما، ويمنع كل واحد منهما صاحبه.

[الجواب الكافي لابن القيم].

* الدعاء ينفع في كل الأحوال:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه قال: «الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، فعليكم عباد اللَّه بالدعاء» [أخرجه أحمد والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣/ ١٥١].

و«معنى: (ينفع مما نزل): فالدعاء يُعِين العبدَ على

الصبر على البلاء الذي نزَل عليه، وأن يرضى به، وأما (مما لم ينزل): فهو أن يستجيب اللَّه دعاء العبد فيصرف عنه البلاء، فلا يصيبه، أو يَمُدَّه قبل النزول بتأييد من عنده -سبحانه-، حتى يخفَّ عنه أعباء ذلك البلاء إذا نزل به» [قوت المغتذي للسيوطي ١/ ٥٠٠].

*** الدعاء جزاءٌ ومكافأة:**

قال تعالى عمَّن أثنى عليهم: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩]، والدُّعاء جزاءٌ كما في الحديث: «مَن أسْدَى إليكم معروفًا فكافِئُوه، فإنْ لم تجدوا ما تكافئونه به، فادعوا له حتَّى تعلموا أنْ قَدْ كافأتموه» [رواه أبو داود وصححه الألباني].

وكانت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إذا أرسلت إلى قومٍ بصدقةٍ تقول للرسول: «اسمع ما يَدْعُون به لنا، حتَّى ندعو لهم بمثل ما دعوا لنا، ويبقى أجرنا على اللَّه» [صحيح الكلم الطيب للألباني].

* * * * *



الدعاء
بين رياض الإجابة وقيود الحرمان

الدعاء كالطائر، له جناحان لا يستطيع التحليق إلا بهما معاً، وهما الأخذ بأسباب الإجابة والحذر من موانعها.

فإن لم تُنقِّل قلبك في رياض الإجابة وقت الدعاء..
وإنْ لم تخلِّصه من قيود الحرمان فلن يصعد إلى السماء.

أولًا: رياض الإجابة

رياض الإجابة رحبة واسعة، قريبة المنال؛ شرط صدق المقال، أينما حَلَّ قلبُك في أي روضة من هذه الرياض شعرت بالسعادة، وفوق هذا أنت قريب من الإجابة.

وإذا عشت في هذه الرياض -كلها أو بعضها- فقد ذُقتَ نعيم الدنيا قبل نعيم الآخرة.

وإذا أردت أن تستشعر قرب السماء، وحلاوة الدعاء، ولذة المناجاة؛ فضع قلبك في هذه الرياض.

وقد قيل: «مَن ذاقَ عرف، ومن عرف غرف».

الروضة الأولى (روضة انكسار القلب)

اقرأ معي قول الصحابي الجليل ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لنتعرف على أصحاب هذه الروضة، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «متى طال السَّفر كان أقرب إلى إجابة الدّعاء؛ لأنّه مظنَّة حصول انكسار النَّفس بطول الغُرْبَة عن الأوطان، وتحمُّل المشاقّ، والانكسار من أعظم أسباب إجابة الدّعاء».

وقد دلَّت السنة النبوية على أن دعاء المسافر مُجَابٌ، قال رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ؛ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ)» [أخرجه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ١/ ٢٨٦، وفي رواية أحمد: (على ولده)٢/ ٢٨٥].

وهذا ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ يجول بنا في هذه الروضة، ويكشف لنا جمالها حيث يقول: «تأمَّل قول النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يروي عن ربّه عزَّ وجلَّ «أنّه يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا ربّ، كيف أطعمك وأنت ربُّ العالمين؟ قال: استطعمك عبدي فلانٌ فلم تُطْعِمه، أما لو أطعمته

لوجدت ذلك عندي.

ابن آدم، استسقيتك فلم تسقني، قال: يا ربّ، كيف أسقيك، وأنت ربُّ العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلانٌ فلم تَسْقِه، أما لو سقيته لوجدت ذلك عندي.

ابن آدم، مرضتُ فلم تعدني، قال: يا ربّ، كيف أعودك، وأنت ربُّ العالمين؟ قال: أما إنّ عبدي فلانًا مرض فلم تَعُدْه، أما لو عُدْتَه لوجدتني عنده» [أخرجه مسلم في صحيحه ٢٥٦٩].

فقال في عيادة المريض: «لوجدتني عنده»، وقال في الإطعام والإسقاء: «لوجدت ذلك عندي» ففرَّق بينهما؛ فإنَّ المريض مكسور القلب ولو كان مَن كان، فلا بدَّ أن يَكْسره المرض؛ فإذا كان مؤمنًا قد انكسر قلبه بالمرض كان اللَّه عنده.

وهذا - واللَّه أعلم - هو السِّرُّ في استجابة دعوة الثَّلاثة: المظلوم، والمسافر، والصّائم، للكسرة الَّتِي في قلب كلِّ واحدٍ منهم، فإنَّ غُرْبَة المسافر وكَسْرته ممّا يجده العبد في نفسه، وكذلك الصَّوْم، فإنَّه يَكْسِر سَوْرَة النَّفس السَّبعيَّة الحيوانيَّة، ويذلّها» [مدارج السالكين ١/ ٢٩٨].

الروضة الثانية (روضة سلامة الصدر)

يكشف لنا جمال هذه الروضة الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث يقول: «إنّ المؤمن يَسرُّه ما يَسُرُّ أخاه المؤمن، ويريد لأخيه المؤمن ما يريده لنفسه من الخير، وهذا كلّه إنّما يأتي من كمال سلامة الصَّدر من الغلِّ والغشِّ والحسد» [جامع العلوم والحكم١/٣٠٦].

ولهذا جاء في الحديث: «**دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابةٌ، عند رأسه مَلَك، كلما دعا لأخيه بخير؛ قال الملك المُوَكَّل به: آمين، ولك بمثل**» [أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٩٤]؛ تأكيدًا على المحبة بين المؤمنين.

فيا أختي الكريمة، حين ترين عُرْسًا قد أُقِيم، قولي: اللَّهم بارك لهما واجمع بينهما في خير.

وحين ترين امرأة حاملًا، ابتسمي، وقولي: اللَّهم اجعل ذريتها صالحةً.

ويا أخي الكريم، عندما تقضي مصلحتك، وتلتفت لترى وراءك كثيرًا من الناس ينتظرون، فقل: يا رب! يَسِّرْ لهم قضاء مصالحهم كما قضيت مصلحتي.

وحينما تخرج من عند الطبيب، وقد تحسَّنت حالتك،

وشُفِيتَ مِن مَرَضك، ادعُ ربَّك أن يَشْفِيَ كلَّ مريض.

وحينما تمرُّ جنازة، ادعُ لصاحبها بالرحمة والمغفرة.

وحينما ترى عاملًا أرهقه التعب في الطريق، قل: اللَّهم خفِّف عنه وارحمه.

فمن فضائل الدعاء أنه طريقةٌ ربانيةٌ لإصلاح فساد القلب، فمن أراد أن يهبه اللَّه قلبًا سليمًا، فليكثر من الدعاء لإخوانه المسلمين؛ لأن مَن أطلق اللَّه لسانه بالدعاء لإخوانه، فهو دليلٌ وعلامةٌ على صحة وسلامة قلبه، ومن ثَمَّ فمَن أراد أن يفتح اللَّه له في الدعاء فليُصَفِّ قلبه للمسلمين، ويُطَهِّره مما يشوبه.

الروضة الثالثة
(تعلُّق القلب باللَّه وحده)

أكثر أهل هذه الروضة من المظلومين والمكروبين، وذلك بسبب ضعف قلوبهم، وشعورهم بالقهر واليأس مِن نُصْرَة المخلوقين، مما يستوجب تعلُّقهم بنصرة الخالق وحده -سبحانه- حينها يُوقِنون ألَّا ناصِرَ لهم إلا اللَّه.

ليس ذلك فقط، بل لأنهم فَقدوا الأمل في قدرة المخلوقين، وتعلَّقَتْ قلوبهم بقدرة اللَّه، وأنه لا كاشِفَ لكَرْبِهم، والضّرِّ الذي وقع بهم إلا اللَّهُ وحده، قال ابن تيمية: «لا يأتي الفرج إلا عند انقطاع الرجاء من المخلوقين». وذلك مَثَل المشركين لما كانت تأتيهم الرياح العاصفة العاتية وهم في السفينة بالبحر، فكان أحدهم ينادي فيهم قائلًا: أيها الناس! أخلصوا للَّه في الدعاء، فإنه لا ينجيكم إلا هو، واتركوا آلهتكم، فإنها لا تُغني عنكم الآن شيئًا.

سبحان اللَّه، ينقطع رجاؤهم حتى في آلهتهم وأصنامهم، ويتركون دعاءهم، ويدعون اللَّه وحده.

وقد قال اللَّه -عز وجل-: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا

دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، والمضطر: هو المكروب، كما فسَّرها حبر الأمة ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**واتق دعوة المظلوم؛ فإنها ليس بينها وبين اللَّه حجاب**» [أخرجه البخاري في صحيحه].

واعلم أيها الكريم أن القلب لا يسكن في هذه الروضة حتى يؤمن صاحبه بالقضاء والقَدَر، وحتى يعلم علم اليقين أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشيء؛ لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، ولو اجتمعوا على أن يَضُرّوه بشيءٍ؛ لم يضروه إلا بشيء قد كتبه اللَّه عليه.

فوالله ما مِن عَبْدٍ يتعلق باللَّه فيخيب في تعلقه أبدًا، وما مِن إنسان يلهمه اللَّه أن يدعوه في كربة من الكربات إلا كان موفَّقًا مُجابَ الدعوة.

الروضة الرابعة (صدق المحبة)

الحب هو حياة القلب ووقودها، وهو أعمق وأشد تأثيرًا على الإنسان من أيّ فطرة أخرى لا سيما إن وُضِعَتْ في مكانها الصحيح.

والحبُّ يشمل كل المعاني المحمودة الطيبة، فلا ترى محبًّا قط إلا محسنًا باذلًا كريمًا مضحيًا حريصًا على إرضاء حبيبه.

وأعلى وأصدق وأخلص محبَّة بين البشر محبة الوالدين لأولادهم، وقد سبَق في علم اللَّه -سبحانه- أنه لا يوجد بين المخلوقين حبٌّ يعدل حب الوالدين لأبنائهم، لذلك لم يوصِ القرآن الآباء بالأبناء؛ لأن حبَّهم يَسْرِي في قلوبهم كما يسري الدم في عروقهم، وهذا هو السر في إجابة دعوة الوالدين لأبنائهم، كما قال رسول اللَّه ﷺ: **«ثلاثُ دعوات يُستجاب لهن، لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده»** [أخرجه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ١/ ٢٨٦، وفي رواية أحمد: (على ولده)٢/ ٢٨٥].

وكذلك الحب في اللَّه، وهذا شأنه عجيبٌ؛ لأنه لا

يستحقه إلا الطائعون، فمن أطاع اللَّه أحبَّه اللَّه وأحبته الملائكة، ثم يُوضَع له القبول في الأرض.

فالحب في اللَّه ليس بسبب تحقيق مطلوب أو قضاء مصلحة، أو لأي سببٍ آخر؛ اللَّهم إلا أنك تُطيع اللَّه فيُحبك الناس ويدعون لك بخيرٍ.

وكذلك كل محبة صادقة، فإذا وَجَدْتَ في قلبك محبةً خالصةً لأحدٍ، ودعوتَ له بخير؛ فدعوتك له مجابةٌ بإذن اللَّه.

الروضة الخامسة (تحقيق العدل)

أما أهل هذه الروضة فهم أصحاب المسؤولية، وأصحاب الولايات، وأصحاب المناصب.

والعدل هو اتِّباع أمر اللَّه بوضع كل شيء في موضعه من غير إفراط ولا تفريط، ومن هنا يتبين لك عِظَم الأمانة المُلْقَاة على كاهلهم، وعظم الواجب المطالبين به، وفي الحديث: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع عليهم وهو مسئول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» [أخرجه البخاري ومسلم ١٨٢٩].

وقد خصَّ اللَّه -عز وجل- المقسطين الذين يُحقِّقون العدل بهبات وفضائل في الدنيا والآخرة، فتفضَّل عليهم في الدنيا بإجابة دعوتهم كما في الحديث: «ثلاثة لا تُرَدُّ دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم» [أخرجه الترمذي، وصححه الألباني في

صحيح الترمذي ٢/ ٣١١].

وخص الإمام العادل في الحديث؛ لأن الإمام العادل خالف هواه، وصبر عن تنفيذ مَا تدعوه إليه شهواته وطمعه وغضبه، مَعَ قدرته عَلَى بلوغ غرضه من ذَلِكَ، فلم يسرق من أموال الناس، ولم يَظلمهم، ولم يَنتقم لنفسه، ولم يُمَهِّد لأقاربه وذويه، بل كانت المسافة بينه وبين من هو مسؤول عنهم واحدة، معاملته للجميع واحدة، يُقدِّم حاجاتهم على حاجته، ومصالحهم على مصلحته، ورغباتهم على رغباته، فإنَّ الإمام العادل دعته الدنيا كلها إلى نفسها فقالَ: إني أخاف اللَّه رب العالمين. وهذا أنفع الخلق لعباد اللَّه؛ لأن في صلاحه صلاح الرعية كلها.

وأما في الآخرة، فهم أرفع الناس منزلةً بعد الأنبياء عليهم السلام؛ لقول الرسول ﷺ: «إن المقسطين عند اللَّه على منابر من نور عن يمين الرحمن الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما وُلُّوا» [صحيح مسلم ١٨٢٧].

الروضة السادسة (انشغال القلب باللَّه)

أكثر أهل هذه الروضة هم الذين يذكرون اللَّه قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، ويسبِّحون اللَّه بالليل والنهار لا يفترون. إذا كان وقت صلاة تجدهم يَصُفُّونَ أقدامهم مع المصلين، وإذا كان وقت أذكار الصباح والمساء تجدهم مع الذاكرين، وإذا كان وقت الليل تجدهم مع القائمين، وإذا كان وقت السَّحَر تجدهم مع المستغفرين، ينامون على ذِكْرِ اللَّه، ويستيقظون على ذكرِ اللَّه، وهم بين ذلك ما بين تسبيح وتهليل وتكبير وتحميد، لا يتركون موطناً يُحبُّ اللَّهُ أن يُذْكَرَ فيه إلا ذكروا اللَّه فيه، لا يَفْتُر لسانُهم، ولا تطمئن قلوبهم، ولا يهنأ لهم عيش، إلا بالذكر.

ولا عجب في هذا فإن العبد إذا أحب شيئًا أكثر من ذِكْره، وهؤلاء القوم امتلأت قلوبهم بمحبة اللَّه؛ فأكثروا من ذكره، فأفاض اللَّه عليهم المِنَح الجليلة والمواهب الفضيلة، فجعل كل من كانت هذه صِفتُه مجابَ الدعاء، ففي الحديث أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«ثلاثة لا يُرَدُّ دعاؤهم: الذاكر للَّه كثيرًا، ودعوة المظلوم، والإمام المُقْسِط» [أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، الصحيحة ٣/ ٢١١].

الروضة السابعة (رِقَّة القلب وتواضعه)

أما أهل هذه الروضة فهم الضعفاء والمساكين الذين يُظْلَمون ولا يَظْلِمون، لا يؤذون الناس ولا يتكبرون عليهم، يألفون الناس ويألفهم الناس؛ وذلك لِرِقَّة قلوبهم وسهولة طبائعهم وحُسْن أخلاقهم.

فالسر ها هنا التواضع ورِقَّة القلب، وليس كونهم فقراء أو مساكين، فالفقراء قد يقع منهم التكبُّر، كما في حديث الثلاثة الذين لا يكلمهم اللَّه، ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولهم عذاب أليم، فذكر منهم «وعائل مستكبر» [صحيح مسلم ١٠٧]؛ أي: فقير مستكبر.

وهذا المعنى أرشدنا إليه وعلَّمنا إياه رسول اللَّه ﷺ حيث كان يقول في دعائه: «اللَّهم أحيني مسكينًا، وتوفَّنِي مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين» [رواه ابن ماجه وصححه الألباني]؛ فالنبي ﷺ أراد التواضع ورِقَّة القلب.

وقد خصَّ اللَّه -عز وجل- هؤلاء القوم برحمةٍ كبيرةٍ وفضلٍ عظيم في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فقد جعلهم اللَّه سببًا لنصرة المسلمين، فمتى دعوه أجاب

دعاءهم وأعطاهم سُؤْلَهم. ففي الحديث أن الرسول ﷺ قال: (هل تُنْصَرُونَ إلا بضعفائكم؟ بدعوتهم وإخلاصهم) [الحلية لأبي نعيم، وهو في صحيح الجامع ٧٠٣٤].

وأما في الآخرة فقد جعلهم اللَّه من أهل الجنة. ففي الحديث أن الرسول ﷺ قال: «**ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره**» [متفق عليه].

فإذا كنت فقيرًا أو غنيًّا أو ذا جاه ومنصب، على أيِّ حالٍ كنتَ فتواضع للخلق وانكسِرْ لهم، ولا تتكبر عليهم، فإنك إنْ فعلت؛ كنت قريبًا من الإجابة بإذن اللَّه.

بعد هذا التطواف في هذه الرياض والتأمل فيها يظهَر لك فضل القلب السليم، ومدى ارتباطه بلذة الدعاء، والمناجاة، وأن سِرّ الإجابة الأعظم داخل قلبك أنت. فتأمل قلبك -رعاك اللَّه-وأصْلِحْه، وطهِّره مما يَكره اللَّه، واملأه بما يحب اللَّه.. رزقنا اللَّه وإياك قلوبًا سليمة صافية.

ثانيًا: قيود الحرمان

قيود الحرمان قيودٌ قوية شديدة مُحْكَمَة، لا يُكبِّلُك بها أحدٌ؛ بل تضعها أنت في يديك وحول عنقك بنفسك، قيودٌ تمنع عنك فَضْل اللَّه، وتَحْجِبُ عنك إحسانه، قيودٌ تَمْحَق بركة الرزق، وتَحْرِم التوفيق، قيودٌ تغلق في وجهك باب السماء، ولا يُرفَعُ بسببها الدعاء، قيود جمعت بين الألم والحسرة والحرمان.

وهذه القيود - مع شدة إحكامها - جعل اللَّه مفتاحها بين يديك بالليل وبالنهار، فإذا أردت التخلُّص منها؛ فأنت صاحب القرار.

القيد الأول
(الكسب الحرام)

هذا القيد من أشد القيود على القلب وعلى الجوارح، لكن اعلم - أيها القارئ - أن الجوارح وإن كانت مُتابعة للقلب، فقد يتأثر القلب بأعمالها؛ للارتباط والعلاقة الوثيقة بين الباطن والظاهر، والقلب مع الجوارح كالمَلِك مع الرعية؛ إن صلح صلحت، ثم يعود صلاحها عليه. فأكل الحلال يُنَوِّر القلب ويُصْلِحه، وأكل الحرام والشبهة يُفْسِده ويُقَسِّيه ويظلمه. وقيل: الأصل المصحِّح للقلوب والأعمال هو أكلُ الحلال، ويخاف على آكل الحرام والمتشابه أن لا يُقْبَل له عملٌ، ولا تُسْمَع له دعوةٌ، ألا تسمع قوله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]. وآكل الحرام، المسترسل في الشُّبُهات، لا يتَّصف بالتقوى على الإطلاق، وقد عضَّد ذلك قوله ﷺ: «يا أيها الناس! إن اللَّه طيِّب ولا يقبل إلا طيِّبًا، وإن اللَّه أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا

رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون: ٥١]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يقول: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغُذِّي بالحرام، فأنَّى يُستجاب لذلك» [رواه مسلم].

ولما شرب أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جرعة لبن من شبهة؛ استقاءها، فأجهده ذلك، حتى تقيّأها، فقيل له: أكلُّ ذلك في شربة؟! فقال: واللَّه لو لم تخرج إلا بنفسي، لأخرجتها. سمعت رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «كل لحم نبت من سُحتٍ فالنار أولى به» [رواه البيهقي في شعب الإيمان وأبو نعيم في الحلية وأصله في البخاري].

وقد قيل: إن للدعاء جناحين: أكل الحلال، وصدق المقال.

فإذا علمت هذا؛ اتضح لك قَدْر المصيبة التي نحن فيها، وعِظَم المِحْنة التي ابتُلِينَا بها؛ إذ المكاسب في هذه الأعصار قد فَسَدت، وأنواع الحرام والشبهات قد عمَّت، فلا يكاد منا اليوم من يتوصل إلى الحلال، ولا ينفكُّ عن الشبهات، فإن الواحد منا، وإن اجتهد فيما يعمله، فكيف يعمل فيمن يعامله،

مع استرسال الناس في المحرمات، والشبهات، وقلة مَن يتقي ذلك من جميع الأصناف والطبقات، مع ضرورة المخالطة، والاحتياج للمعاملة، وعلى هذا فالخلاص بعيدٌ، والأمر شديدٌ، وقال جماعة من السلف: «الجهاد عشرة أجزاء؛ تسعة في طلب الحلال».

ولولا النهي عن القنوط واليأس؛ لكان ذلك أوْلى بأمثالنا من الناس، لكنّا إذا دفعنا عن أنفسنا أصول المحرمات، واجتهدنا في ترك ما يمكننا من الشبهات؛ فعفو اللَّه تعالى مأمولٌ، وكرمه مرجوٌّ، فلا ملجأ لنا إلا هو، ولا مَفْزَع إلا إليه، ولا استعانة إلا به، ولا استغاثة إلا إليه، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم. [الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم ١٧/ ٣٥٤].

القيد الثاني

(ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبادةٌ جليلةُ القَدْر، وقد ميَّز اللَّه هذه الأمة بها عن باقي الأمم، وجعلنا خيرَ الأمم إذا قمنا بها، ولم نقصر عنها، قال -تعالى-: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقد فرض رسول اللَّه ﷺ هذه العبادة على كل فرد من هذه الأمة، كلٌّ بحسب حاله وقدرته، حيث قال: «من رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فإنْ لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطيع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» [رواه مسلم].

والمعنى: أن الواجب على كل مَن رأى منكرًا أن ينكره إذا لم يَخَفْ على نفسه عقوبةً لا قِبَل له بها، أي: لا طاقة له لتحمُّلها؛ لقوله ﷺ: «لا ينبغي للمؤمن أن يُذِلَّ نفسه. قالوا: وكيف يذل نفسه؟ قال: يتعرض من البلاء ما لا يطيق» [شرح ابن بطال١٠/ ٥١].

وهذا ابن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما سمع رجلًا يقول: هلك مَن لم يأمر بالمعروف، ولم يَنْهَ عن المنكر، قال له: «هلك مَن لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر»، يشير إلى أنّ معرفة المعروف والمنكر بالقلب، فرضٌ لا يسقط عن أحدٍ، فمن لم يعرفه هلك، وأمّا الإنكار باللّسان واليد، فإنّما يجب بحسب الطّاقة كما ذكرنا.

وقال ابن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يوشك مَن عاش منكم أن يرى منكرًا لا يستطيع له، غير أن يعلم اللّه من قلبه أنّه له كارهٌ».

وفي سنن أبي داود عن الْعُرْس بن عَميرة الْكِندِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا عُمِلَتْ الْخَطِيِّئَة فِي الأَرْضِ، كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَكَرِهَهَا -وَقَالَ مَرَّةً: أَنْكَرَهَا- كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيَهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا» [أخرجه أبو داود وحسَّنه الألباني].

ومعنى الحديث: «أنَّ مَن شهد الخطيئة، فكرهها قلبه، كان كمن لم يشهدها إذا عجَز عن إنكارها بلسانه ويده، ومَن غاب عنها فَرَضِيَها، كان كمَن شهدها وقدَر على إنكارها ولم ينكرها؛ لأنّ الرّضا بالخطايا مِن أقبح المحرَّمات، ويفوت به إنكار

الخطيئة بالقلب، وهو فرضٌ على كلّ مسلمٍ، لا يسقط عن أحدٍ في حالٍ من الأحوال» [جامع العلوم والحكم ٢/ ٢٤٢].

بعد أن ذكرنا مراتب هذه العبادة، وأن الإنكار بالقلب فرضٌ على كل مسلم؛ لأنه يستطيعه كل أحدٍ، وأن الإنكار باليد واللسان بحسب الطاقة، وذلك لكثرة المنكرات حولنا، وكثرة المتقاعسين عن أداء الفروض والواجبات، استبان لك السر، وأنه مَن استطاع أن ينكر المنكر ويأمر بالمعروف ولم يفعل؛ يُعرِّض نفسه للحرمان من إجابة الدعاء؛ لأن النبي ﷺ قال: «والَّذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ اللَّه أن يبعث عليكم عقابًا مِن عنده، ثم لتدعنَّه فلا يستجيب لكم» [مسند أحمد، صحيح الجامع ٧٠٧٠].

ولا يُكلِّف اللَّه نفسًا إلا وسعها، فاللَّهم أصلح لنا ديننا ودنيانا وآخرتنا إنك سميع قريب مجيب.

القيد الثالث
(الدعاء بإثم أو قطع رحم)

الإثم هو المعصية، وقطع الرحم يعني قطع قراباتك، وعدم القيام بحقوقهم، وقد يسأل سائل: لِمَ جمع اللَّه بين الإثم وقطع الرحم، مع أنَّ قطع الرحم داخل في الإثم؟!

والجواب: لأن الذي يرتكب إثمًا؛ علاقته سيئةٌ مع الخالق، والذي يَقطع رَحِمَهُ؛ علاقته سيئةٌ مع المخلوقين، فإذا كانت هذه علاقته بِرَحِمِه، فكيف علاقته بالأبعدين.

واعلم أيها القارئ، أنَّ الذي يدعو بمعصيةٍ، فهو مبتلًى بحبِّها، وإنَّ اللَّه يحبُّ ألا يُقدَّم حُبُّ أي شيء داخل قلب عبده المؤمن على حبِّه سبحانه، وفي الحديث: «إِنَّ اللَّه يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّه أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّه» [متفق عليه]. فكيف يستجيب اللَّه-تعالى- لعبدٍ، يسأله أن يُيسِّر له ما حرَّم عليه، أو يدعو بالشر على غير مستحقِّه!

واعلم أنَّ الذي يدعو بقطع رَحِمه، مع علمه بمنزلة

الرَّحِم، وأن مَن وصلها وصله اللَّه، ومَن قطعها قطعه اللَّه؛ فهو مبتلًى بقلب مليء بالشحناء والبغضاء والخصومة، حتى يصل لهذه الدرجة، فكيف يستجيب اللَّه لقلب كهذا أو لدعوةٍ كهذه؟! ولهذا قال النبي ﷺ: «لا يزال يُستجاب للعبد، ما لم يدعُ بإثمٍ، أو قطيعة رحمٍ، ما لم يستعجل» [صحيح ابن حبان، صحيح الجامع ٥٦٣٧].

والمقصود: أن مَن امتلأ قلبه بحبِّ اللَّه، لم يسأل اللَّه إلا ما يحبُّه اللَّه، وإلا ما أباحه اللَّه، أما سؤال الحرام فلا يليق بعاقل؛ فضلًا عن مؤمنٍ.

القيد الرابع
(استعجال الإجابة)

إنَّ اللّه -تعالى- يحب الإلحاح في الدعاء، ويحب أن يسمع صوت عبده وهو يدعوه، ويفتح له من البركة بكثرة دعائه ما لا يُحصيه، فإذا حَبَسَ اللّه حاجةَ عبده وأجَّلَها، وترَكَ العبدُ الدعاءَ لتأخير الإجابة، فقد حرَم نفسه خيرًا كثيرًا وفضلًا كبيرًا.
ففي الحديث أن النبي ﷺ قال (يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل؛ يقول: دعوتُ فلم يُستجب لي، فيدع الدعاء) [صحيح الأدب المفرد ٦٥٤].

قال بعض السلف: «لأنا أشدّ خشيةً أن أُحْرَمَ الدعاء مِن أنْ أُحْرَمَ الإجابةَ، وذلك أنَّ اللّه -تعالى- يقول: ﴿ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، فقد أمَر بالدعاء، ووعَد بالإجابة وهو لا يُخلف الميعاد.

وقال النبي ﷺ «ما مِن داعٍ يدعو إلا كان بين إحدى ثلاثٍ: إما أن يُستجاب له، وإمَّا أن يُدَّخَر له، وإما أن يُكَفَّر عنه»، ففي هذا الحديث دليل على أن الدعاء مجاب، إما معجّلًا وإما مؤخّرًا. [شرح ابن بطال ١٠/١٠٠].

واعلم أيها الكريم «أن اللَّه عز وجل لا يرد دعاء المؤمن، غير أنه قد تكون المصلحة في تأخير الإجابة، وقد لا يكون ما سأله مصلحة في الجملة، فيعوِّضه عنه ما يصلحه، وربما أخَّر تعويضه إلى يوم القيامة، فينبغي للمؤمن ألا يَقطع المسألة لامتناع الإجابة؛ فإنَّه بالدّعاء مُتعبَّد، وبالتسليم إلى ما يراه الحق له مصلحة مفوِّض» [كشف المشكل لابن الجوزي ٣/ ٤٠٠].

واعلم أيضًا أيها القارئ أنَّ تأخير الإجابة لحكمةٍ إلهيةٍ، وقد جرَت هذه الحكمة الإلهية على الأنبياء والصالحين من بعدهم، فهذا رسول اللَّه ﷺ لما وضَع المشركون سلا جزور (هي مشيمة الناقة التي يكون فيها الولد) على ظهره الشريف وهو يصلي عند الكعبة، دعا عليهم بالهلاك، وخصَّ منهم أناسًا بأسمائهم، ومع أنه رسول اللَّه، وخليله، وأفضل الناس مقامًا، وأعلاهم عند اللَّه منزلةً، لم يَسْتجب اللَّه لهذه الدعوة، إلا بعد الهجرة في غزوة بدر، أي: بعد أعوام من دعائه ﷺ.

وأيضًا «لما حاصرت قريش النبيَّ ﷺ والمسلمين معه، في شِعْب أبي طالب، وكان المسلمون يدعون اللَّه ويسألونه الفَرَج، ومع ذلك امتدَّ الحصارُ ثلاث

سنوات، ثم فرَّج اللَّه عنهم» [سيرة ابن هشام].

وهذا نبيّ اللَّه موسى، كليم الرحمن، وصفيّه، ومِن أُولي العزم مِن الرسل، لما دعا هو وأخوه هارون -عليهما الصلاة والسلام- على فرعون وملأه، كما في قوله -تعالى-: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]. لم يستجب اللَّه لدعائهم إلا بعد أربعين سنة» [الطبري عن ابن جريج].

«وعن مروان العجليّ أنّه قال: سألت ربّي عشرين سنةً في حاجةٍ، فما قضاها حتَّى الآن، وأنا أدعوه فيها، ولا أيأس من قضائها» [التمهيد ٢/٥٢٦].

فلا تجعل لليأس سبيلًا إلى قلبك، وأَحْسِن الظنَّ بربك، والزمْ الدعاء ولا تَمَلَّ، فإنه مَن أدمَنَ قَرْع الباب؛ يوشك أن يُفْتَح له، ومَن أدمَن الدعاء؛ يوشك أن يُستَجاب له.

القيد الخامس

(إهمال الوصايا الربانية)

اعلم أخي الكريم أن النبي ﷺ إذا دعا بدعاء أو أرشد أمته إلى دعاء فهو يحث -مع الاستعانة بالله والطمع في فضله- على الجد والاجتهاد في التحقق لحصول ما يدعو بحصوله، والتخلي عما كان يدعو لدفعه؛ لأن الدعاء مقارن للعمل، وينبغي للمؤمن إذا همَّ بأمر ما أن يعتني بوصايا القرآن والسنة وتوجيهاتهما؛ لأن فيهما صلاح دنيا العبد وآخرته، ولا يهمل هذه الوصايا وإلا فلا يلومن إلا نفسه إذا ساءته عاقبة فعله.

ومن أدق الأمثلة على هذا الأمر، حديث الثلاثة الذي قال فيه النبي ﷺ: «ثلاثةٌ يدعون اللَّه فلا يستجيب لهم: رجلٌ كان له دَيْنٌ فلم يُشْهِد، ورجلٌ أعطى سفيهًا ماله، وقد قال اللَّه -عزّ وجلّ-: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥]، ورجلٌ كانت عنده امرأةٌ سيّئة الخلق فلم يُطَلِّقها» [أخرجه الحاكم في المستدرك ٣١٨١، ووافقه الذهبي].

ولنتعرف على معنى هذا الحديث:

(رجل كان له دَيْن، فلم يُشْهِد): فإذا أنكر الرجل

الذي أخذ المال، ولم يردّه إلى صاحبه، قام صاحب المال بالدعاء عليه، فهذا الدعاء لا يجيبه اللَّه؛ لأنّ صاحب المال فرَّط وقصَّر بما أمر اللَّه -تعالى- به، وهو في قوله -سبحانه-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وفي نفس الآية الكريمة: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾.

(ورجل آتى ماله سفيهًا): أي أعطاه ماله، مع علمه بحاله، فإذا دعا لا يُجاب؛ لأنّه المُضيِّع لماله، فلا عُذْرَ له، وقد قال اللَّه -تعالى-: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥].

(ورجلٌ كانت عنده امرأةٌ سيّئة الخلق فلم يُطلِّقها): يعني الرجل الذي تؤذيه زوجته بسوء عِشْرتها، وسوء أخلاقها، لدرجة أنه يدعو عليها ليخلِّصه اللَّه منها، ومن عذاب العيش معها، لا يستجيب اللَّه لدعوته عليها، وذلك لأن اللَّه -تعالى- جعله في سعةٍ من أمره، وشرَع له ما يُخلِّصه منها، فترك شَرْع اللَّه، ولجأ إلى الدعاء عليها، فجاءت العقوبة مناسبةً لتركه ما شرع اللَّه.

* **وقفة مهمة:**

- المقصود بالدعاء الذي لا يستجيب اللَّه له هو: الدعاء الذي يخصُّ الحالات المذكورة في الحديث فقط، أما إذا دعا هؤلاء أيَّ دعاءٍ آخر في غير هذه المواطن؛ فلا يدخل في الحديث.

- كل حالة مشابهة للحالات المذكورة في هذا الحديث الشريف، محرومٌ أصحابها من إجابة دعائهم.

مثل: رجل مُسْرِف على نفسه بالدخان والمسكرات، حتى ضعُف جسمه، وعقله، فإذا دعا اللَّه أن يرزقه الصحة والعافية، مع إصراره على هلاك نفسه، فدعاؤه لا يُجاب؛ لأنه ترك أمر اللَّه بالحفاظ على نفسه وصحته، وقد قال اللَّه -تعالى-: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]. فإذا كان تَرْكُ هذه المعصية شاقًّا عليه، فليدعو بأن يوفِّقه اللَّه للتوبة أولًا، ثم يدعو بالصحة والعافية، فليس أرحم من اللَّه بعباده، وهو أرحم الراحمين.

بعد التعرف على هذه القيود وسوء أثرها على حياتنا وعلاقتنا بربنا لا سيما الدعاء والمناجاة؛ فيجدر بكل واحد منا إن كان عليه قيد أو أكثر من هذه القيود أن يسارع بالتخلص منها، ويصدق النية مع اللَّه في

استخدام المفتاح الذي يَسَّرَ لنا إياه، وهو (التوبة)؛ فإذا صدقنا اللَّه في توبتنا تحررت قلوبنا وانشرحت صدورنا وفتحت أبواب السماء لدعواتنا . .

نسأل اللَّه ألا يحرمنا فضله، وأن يبسط لنا من رحمته، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو ذو الفضل العظيم.

* * * * *

٤

وقفات
مع بعض أدعية الوحيين

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [الزمر: ١٨].

من أهم القضايا في حياة المسلم أن يتعرف على أدعية الأنبياء والصالحين التي ذكَرَها اللّه في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ؛ لأنهم سيختارون أفضل الأدعية، وأفضل المعاني، وأفضل المطلوبات، ويُعَبِّرون عن ذلك بأفضل الألفاظ.

وهذه وقفات مع بعض هذه الأدعية المباركة؛ نتأمل فوائدها، ونتدبر لطائفها، راجين من اللّه تعالى أن ينفعنا بها ويتقبلها منا.

أولًا: وقفات مع بعض أدعية القرآن

١- لا تغترَّ بعملك:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

عن وهيب بن الورد: «أنه قرأ ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾، ثم بكى، وقال: يا خليل الرحمن، تَرفع قوائم بيت الرحمن، وأنتَ مشفِقٌ أن لا يَتقبل الرحمن منك»!!

والاهتمام بقبول العمل، شأنُ الأنبياء والصالحين من بعدهم:

- فلما أراد النبي ﷺ أن يُضحِّي، أُتِيَ له بكبشٍ، فذبَحه، ثم قال: «اللَّهم تقبل من محمد، ومن آل محمد، ومن أمة محمد، ثم ضحّى به» [مسلم٣/ ١٥٥٧].

- وهذه امرأة عمران، لما حملت بمريم قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥].

- وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ينصح قائلًا:

«كونوا لقبول العمل، أشد اهتمامًا منكم بالعمل، ألم تسمع اللَّه يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]».

- وهذا أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «لأن أستيقن أن اللَّه تقبل مِنِّي صلاة واحدة، أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها».

- وهذا فضالة بن عبيد (من أهل بيعة الرضوان) يقول: «لأن أعلم أن اللَّه تقبَّل مِنِّي مثقال حبَّة، أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها؛ لأن اللَّه يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]».

ولهذا كان السلف الصالح يدعون اللَّه ستة أشهر بعد رمضان، أن يتقبل منهم أعمالهم التي عملوها في رمضان.

كذلك أنت أخي الكريم إذا أدَّيْتَ عبادةً، أو قمتَ بطاعةٍ؛ فسَل اللَّه القبول، ولا تقف عند العمل.

٢- ما هو همُّك؟

قال -تعالى-: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨].

تأمل هذه الدعوة المباركة التي دعاها الخليل -عليه السلام-، هي دعوة تكشف عن اهتمامات القلب المؤمن؛ إنَّ أمر العقيدة هو شغله الشاغل، وهو همُّه الأول، وشعور إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- بقيمة النعمة التي أسبغها اللّه عليهما (نعمة الإيمان)، تدفعهما إلى الحرص عليها في عقبهما، وإلى الدعاء ألا يحرم ذريتهما هذا الإنعام الذي لا يكافئه إنعام.

كذلك أنت أخي الكريم، اجعل أكبر همّك، وأعلى اهتماماتك، هو تربية أولادك على الإسلام، واحرص على أن يكون الإسلام كذلك، هو أكبر همّهم، وأعلى اهتماماتهم، فالإسلام أكبر نعمة أنعمها اللّه علينا، فلا تترك الدعاء لك ولذريتك أن يجعلكم اللّه من عباده الموحّدين الطائعين، كما دعا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]. وكما دعا أيضًا: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ

وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠]. ولا تترك الدعاء أيضًا، أن يثبتك اللَّه وذريتك على الإسلام، وقد كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «يا مقلب القلوب ثَبِّتْ قلبي على دينك» [أخرجه الترمذي ٢١٤٠ وصححه الألباني]. وكذلك كان يدعو: «يا وليّ الإسلام وأهله، مَسِّكْنَا بالإسلام، حتى نلقاك عليه» [أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٦١) وقال الهيثمي (١٠/١٧٦): رجاله ثقات وصححه الألباني].

٣- السبب الأكبر:

قال -تعالى-: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرًا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

سبحان اللَّه! مع أنهم يقاتلون في سبيل اللَّه، ومع قائدٍ اختاره لهم اللَّه، ومع أنهم صفوةٌ من صفوة من صفوة، فإنَّ اللَّه -تعالى- ابتلاهم بامتحانات ثلاثة، فلم ينجح فيها إلا هذه الفئة المؤمنة الصابرة، ومع ذلك يسألون اللَّه النصر والتأييد.

ومثل ذلك مع نبينا ﷺ وقت غزوة بدر، لما أخذ بالأسباب وأعدَّ العُدَّة، ووضع خُطة الحرب، وأتمَّ التجهيزات، ومع أن اللَّه وعدَه بالنصر، إلا أنه بعد ذلك أخذ يناشد ربه -جل وعلا- ويدعوه دعاءً طويلًا، ويتضرع إليه، حتى سقط رداؤه من على كتفيه، وكان يقول: «اللَّهم نصرك الذي وعدتَ»، فلم يكتفِ النبي ﷺ بكل ما أخذ من أسباب، حتى أخذ بالسبب الأكبر؛ ألا وهو الدعاء والإلحاح على اللَّه -تعالى-.

كذلك أنت أخي الكريم، إذا أخلصتَ نيتك، وبذلتَ

الأسباب، واستنفذت وُسْعك فيها، فلا تغفل أبدًا عن السبب الأكبر (الدعاء)، وسؤال اللَّه التوفيق، فهذا طريق الأنبياء وسُنَّة المرسلين.

٤- لا تقطع رجاءك .. وإن كنت عاصيًا:

قال -تعالى-: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

يقال: «إن آدم عليه السلام سَعِدَ بخمسة أشياء: اعترف بالذنب، ونَدِمَ عليه، ولَامَ نفسه، وسارع إلى التوبة، ولم يَقْنَط من الرحمة.

وشقي إبليس بخمسة أشياء: لم يُقِرَّ بالذنب، ولم يندم، ولم يَلُمْ نفسه، ولم يَتُبْ، وقَنط من الرحمة» [محاسن التأويل للقاسمي].

وكذلك أنت أخي الكريم، إذا وقعت بذنب، فسارعْ بالتوبة، وإن تكرر منك الذنب نفسه، أو غيره، فلا تيأس ولا تقنط من رحمة اللَّه أبدًا، فالنبي ﷺ يقول: «كل بني آدم خطَّاء، وخيرُ الخطائين التوابون» [أخرجه الترمذي ٢٤٩٩ وحسنه الألباني].

نعم قد يؤخِّر اللَّه إجابة دعائك بسبب ذنوبك، كما قال يحيى بن معاذ رحمه الله: «لا تستبطئن الإجابة إذا دعوت، وقد سَدَدْتَ طُرُقها بالذنوب».

لكن اعلم أن اللَّه لا يقطع فضله أبدًا عن عباده، وإن كانوا عاصين مُذنبين، فها هو يحيى بن معاذ نفسه يقول

في إحدى مناجاته لربِّه: «كيف أمتنع بالذنب من الدعاء، ولا أراك تمتنع للذنب من العطاء».

وكان من دعائه أيضًا: «اللَّهم إني أسألك تذللًا، فأعطني منك تفضلًا».

(أسألك تذللًا) أي: لا أملك ما أقدّمه بين يدي دعائي إلا اعترافي بِذُلِّي لك.

(فأعطني تفضلًا): ليس لأني أستحق، ولكن لأنك واسع العطاء وأنت ذو الفضل العظيم.

فلا تيأس قط، ولا تقنطْ قط، وكلما وقعتَ فَقُم، وكلما عصيتَ فتُبْ، فاللَّه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

٥- العسكر الذي لا يُغْلَب:

قال -تعالى-: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[يونس: ٨٨- ٨٩].

قال ابن كثير: هذه الدعوة كانت من موسى عليه السلام غضبًا للَّه ولدينه على فرعون وملئه، الذي تبيَّن له أنه لا خيرَ فيهم، ولا يجيء منهم شيء؛ كما دعا نوح عليه السلام فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦- ٢٧].

وكذلك أنت أخي الكريم إذا غضبت للَّه -تعالى- بسبب تعدِّي الظالمين على دين اللَّه، وعلى حدود اللَّه، وعلى شرع اللَّه، وعلى أولياء اللَّه، وعلى عباد اللَّه الموحِّدين، ولم يكن لك مقدرة على الذَّبِّ عن دين اللَّه، ولم تر وليًا، ولا مدافعًا، ولا نصيرًا، فعليك بالدعاء، فإنَّ اللَّه نصر نبيّه بالدعاء على

فرعون، حين انقطعت به الأسباب، فلجأ لأقوى الأسباب.

قال ابن تيمية: «القلوب الصادقة، والأدعية الصالحة، هي العسكر الذي لا يُغْلَب».

ثم قال -تعالى-: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا﴾ أي: على أمْرِي وعبادتي، ولا تَعْجَلا، فإن مطلوبكما كائِنٌ في وقته، لا محالةَ، ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: في الاستعجال أو عدم الوثوق بوعده تعالى. [محاسن التأويل للقاسمي].

وكذلك أنت أخي الكريم، إذا وفَّقَك اللَّه للدعاء، وأطلَق لسانك بالسؤال، فثِقْ بربك، ولا تُسِئْ به الظنَّ، وإن تأخرتْ الإجابة، فإنه يعطيك مسألتك، ويجيب دعوتك.

توضيح مهم:

اللّام في قوله -تعالى-: ﴿لِيُضِلُّواْ﴾ تسمّى لام العاقبة والصّيرورة، وهي الدّالّة على أنّ ما بعدها أثرٌ وغايةٌ فعليّةٌ لمتعلّقها يترتّب عليه بالفعل، لا بالسّببيّة، ولا بقصد فاعل الفعل الّذي تتعلّق به، كقوله -تعالى- في موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ

لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًاۗ﴾ [القصص: ٨]، وحمل العلماء معناها على الاستدراج، أي: آتيتهم ذلك لكي يضلّوا النّاس فيستحقّوا العقاب. [تفسير المنار، محمد رشيد رضا].

فائدة فقهية:

قد يَحتجُّ بهذه الآية من يقول: «إنّ تأمين المأموم على قراءة الفاتحة، يجعله بمنزلة من قرأها؛ لأنّ موسى دعا وهارون أمَّن على دعائه» [تفسير ابن كثير].

٦- مَن لم يشكر الناس؛ لم يشكر اللَّه:

قال -تعالى-: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

سبحان اللَّه العظيم! أمَر اللَّه -تعالى- بالإحسان للوالدين، فقال: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣] وأطلَق هذا الأمرَ، ليشمل جميع أنواع البر والإحسان، وأمَر بالتأدب معهما لأقصى درجةٍ من درجات الأدب، وختَم هذه الأوامر بالدعاء لهما، (لماذا؟) لأنّ الاشتغال بشكر المُنْعِم واجبٌ، ثمّ المُنْعِم الحقيقي هو الخالق -سبحانه وتعالى- جلَّ ذِكْره لا إله إلا هو، وقد يكون بعض المخلوقين مُنْعِمًا عليك، وشُكره أيضًا واجبٌ؛ لقوله ﷺ: «مَن لم يشكر النَّاسَ، لم يشكر اللَّه»، وليس لأحدٍ من الخلائق نعمةٌ على الإنسان مثل ما للوالدين.

وتأمل هذه اللطيفة الجميلة في تعظيم مقام الوالدين في القرآن الكريم: أن العبد قد يَفِرُّ من والديه يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤- ٣٦].

ذكرت الآية أن العبد يَفِرُّ مِن كلِّ الناس، حتى من والديه.

لكنه لا يفتدي بهم من النار، لينجو هو، ويتركهم فيها ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [المعارج: ١١- ١٤].

ذكرت الآية أن العبد يودُّ لو يدخل كلّ الناس النار، وينجو هو منها، فذكرت الآية الزوجة، والأولاد، والأخ، والعائلة، والقبيلة، وكل مَن على الأرض، لكن: لم تذكر الوالدين، فتأمل!!

أخي الكريم، أفبَعد كل هذا، تترك الدعاء لوالديك؟!

٧- مع الدعاء أنت الفائز دائمًا:

قال -تعالى-: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤].

قال قتادة: «كنت تُعرِّفني الإجابةَ فيما مَضى».

وقال بعضهم: هذه وسيلة حَسَنة؛ أن يتشفع إليه بنِعَمِه، ويستدرَّ فَضْله بفضله.

ويُرْوَى أن حاتم الأصم لقيه رجل فسأله شيئًا، فقال حاتم: من أنت؟، قال الرجل: أنا الذي أحسنت إليَّ عام أول، فقال حاتم: مرحبًا بمن تشفَّع إلينا بنا.

ومن آداب الدعاء الجميلة في الآية الكريمة:

أن يذكر العبد في مقدمة دعائه، عَجْزَ النَّفْس وضعفَها.

قال بعضهم: يُستَحبُّ للمرء أن يجمع في دعائه بين الخضوع، وذِكْر نِعَم اللَّه عليه، كما فعل زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وينبغي للعبد أن يَستحضر حُسْن الظن باللَّه، فإنَّ الذي أحْسَن في الماضي، يُحْسِن في الحاضر والمستقبل.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ الكريم إذا أنعم على عبدٍ نعمة، كان حقًّا عليه أن يُتِمَّها».

وقال ابن عطاء في (الحِكَم): «إن لم تُحْسِن ظنَّك باللَّه لأجل وَصْفِه، فحَسِّن ظنَّك به لمعاملته معك، فهل عوَّدَك إلا الكرمَ والفضلَ والإحسانَ؟!».

وقد يكون معنى الآية الكريمة: إني أدعوك؛ فإن استجبت، حصلت لي السعادة، وإن لم تستجب لي، أُجِرْتُ أَجْرَ التضرُّع والخضوع، فلم أكن شقيًّا قط بأي حال وأنا أدعوك.

ثانيًا: وقفات مع بعض أدعية الرسول ﷺ

لا شك أن الرسول ﷺ كان أعلم الناس بالله - تعالى-، ولذلك نقتبس من أنوار أدعيته ما يضيء لنا طريقنا في الإلحاح على الله تعالى والافتقار إليه - جل وعلا-.

١- لا تترك هذا الدعاء في أيِّ مجلس:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ لا يكاد أن يقوم من مجلسٍ إلّا دعا بهؤلاء الدّعوات: «اللَّهمَّ اقْسِم لنَا من خَشْيَتِكَ ما يَحُولُ بيننا وبين معاصِيك، ومِن طاعتك ما تُبَلِّغُنَا به جَنَّتك، ومن اليَقِين ما تُهوِّنُ به علينا مصائِبَ الدنيا، اللَّهمَّ أَمتِعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقُوَّتنا ما أَحيَيتنا، واجعَلْه الوارثَ منا، واجعل ثَأْرنا على من ظلمنا، وانْصُرْنا على مَنْ عادانا، ولا تجعلْ مُصيبَتَنَا في دِيننا، ولا تجعل الدنيا أكبرَ همِّنا، ولا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، ولا تُسَلِّطْ علينا مَن لا يَرحَمُنا» [السنن الكبرى للنسائي٩/ ١٥٤ وحسنه الألباني].

تأمل أخي الكريم، كيف جمَع هذا الدعاء المبارك،

بين سلامة الدين، وسلامة الدنيا، فمن أطاع اللَّه، وخشي معصيته، وصبر على مصائب الدنيا، فقد سَلِمَ له دينه.

ومَن متَّعه اللَّه بالصحة والعافية، ونصَره على عدوه، ورزَقه نعمة الأمن، فقد سلمت له دنياه.

ومن كان دينه أهمَّ إليه من دنياه، كان من المفلحين الفائزين في الدنيا والآخرة، ولهذا كان النبي ﷺ لا يتركه في المجالس.

٢- دعاء يجمع لك نعيم الدنيا ونعيم الآخرة:

عن أنسٍ قال: كان أكثر دعاء النّبيّ ﷺ «اللَّهمّ آتنا في الدّنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقِنَا عذابَ النَّار» [متفق عليه- اللؤلؤ والمرجان ٣/ ١٢٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جمعت هذه الدعوة كلّ خيرٍ في الدّنيا، وصرفتَ كلّ شرٍّ؛ فإنّ الحسنة في الدّنيا تشمل كلّ مطلوبٍ دنيويٍّ: من عافيةٍ، ودارٍ رحبةٍ، وزوجةٍ حسنةٍ، ورزقٍ واسعٍ، وعلمٍ نافعٍ، وعملٍ صالحٍ، ومركبٍ هنيءٍ، وثناءٍ جميلٍ، إلى غير ذلك ممّا اشتملت عليه عبارات المفسّرين، ولا منافاة بينها، فإنّها كلّها مندرجةٌ في الحسنة في الدّنيا.

وأمّا الحسنة في الآخرة: فأعلى ذلك دخول الجنّة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات، وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة، وأمّا النّجاة من النّار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدّنيا، من اجتناب المحارم والآثام وترك الشّبهات والحرام» [تفسير ابن كثير ١/ ٥٥٨].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حسنة الدنيا: كل نعيم في الدنيا، وحسنة الآخرة: كل نعيم في الآخرة».

ولما كان هذا الدعاء المبارك شاملًا للخير كله، كان السلف يَتَأَسَّوْنَ بالنبي ﷺ في الإكثار من الدعاء به، في معظم أوقاتهم، ومعظم مجالسهم، ويستعيضون به عن تفاصيل الدعاء الكثيرة، فهذا أنس بن مالك رضي الله عنه كان في مجلس مع بعض إخوانه، فقال له ثابتٌ - أحد أصحاب أنس المقربين -: «إنّ إخوانك يحبّون أن تدعو لهم، فقال: «اللّهمّ آتنا في الدّنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النّار»، وتحدّثوا ساعةً حتّى إذا أرادوا القيام، قال ثابت لأنس: يا أبا حمزة، إنّ إخوانك يريدون القيام فادعُ لهم فقال: تريدون أن أشقّق لكم الأمور، إذا آتاكم اللّه في الدّنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، ووقاكم عذاب النّار فقد آتاكم الخير كلّه» [أخرجه ابن أبي حاتم].

٣- أمانك في الدنيا:

عن شهر بن حوشب: قال: «قلتُ لأُمّ سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: يا أُمَّ المؤمنين، ما كان أَكْثَرُ دُعاءِ رسولِ اللَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كان عندكِ؟ قالت: كان أَكْثَرُ دُعَائه: يا مُقَلِّبَ القُلوبِ ثَبِّت قَلْبِي على دينك. قالت: فقلتُ له: يا رسولَ اللَّه، ما أَكْثَرَ دُعَائِكَ بهذا؟ قال: يا أُمَّ سلمةَ، إنه ليس آدميٌّ إلا وقلبُه بين إِصْبَعيْنِ من أصابع اللَّه، فمن شاء أقام، ومن شاء أَزَاغَ» [أخرجه الترمذي ٣٥١٧، وصححه الألباني في الصحيحة٥/ ١٢٦].

إنَّ الثبات على الدين، وعلى طاعة اللَّه، هو مطلبُ كلِّ مؤمن صادق في الدنيا، يريد رضا ربه ودخول الجنة، وإنَّ حاجة المسلم اليوم لأسباب الثبات على الدين، أكبر وأشد من أيِّ وقتٍ آخر، فكم مِن أناسٍ فتنتهم الدنيا، وانقلبوا على أعقابهم، بعد أن كانوا طائعين صالحين، فأصبحوا عاصين لاهين غافلين، وحَرَمُوا أنفسهم لذة الإيمان وحلاوة الطاعة والقرآن، وتجد الشخص من أهل المساجد ومن أصحاب الصدقات، وله نصيب من العلم، ثم ينتكس عن طريق الهداية، وقد يموت على هذه الحال السيئة،

حينها يشعر أحدنا بالخوف من هذه العاقبة والخوف من سوء الخاتمة، ولا شك أن الهداية بيد اللَّه وحده، والسعادة والشقاء في الدنيا والآخرة بيد اللَّه وحده، ولا أمانَ لعبدٍ قط إلا في طاعة ربه والثبات عليها، واللَّه عليم بذات الصدور، ويعلم مراد العبد ونيته، لذلك كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك»، وكان يقول أيضًا: «يا ولي الإسلام وأهله، مَسِّكْنَا بالإسلام حتى نلقاك عليه».

٤- سيد الاستعاذات:

عن ابن عبّاسٍ «أنّ رسول اللّه ﷺ كان يعلّمهم هذا الدّعاء كما يعلّمهم السّورة من القرآن، يقول: «اللَّهمَّ إنّي أعوذ بك من عذاب جهنّم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدَّجّال»، وزاد في رواية: «اللَّهمَّ إنِّي أعوذ بك من المأثم والمغرم. فقال له قائلٌ: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم! فقال: «إنّ الرّجل إذا غرم؛ حدَّث فكذب، ووعَد فأخلف» [أخرجه البخاري ٧٩٨].

تأمل أخي الكريم، كيف جَمَع هذا الدعاء المبارك أيضًا بين سلامة الدنيا، وسلامة الآخرة، وتأمل كيف كان النبي ﷺ يقوله كل صلاة بعد التشهُّد الأخير وقبل التسليم، ويعلِّمه أصحابه كذلك، ويلقِّنهم إيَّاه كما يُلقِّنهم القرآنَ، وتأمَّل كيف أن هذا الدعاء ليس فيه إلا التعوذ فقط، فلا عجب أن يكون سيد الاستعاذات، فتمَسَكَّ أخي بهذه السُّنَّة العظيمة، وعليك بهذا الدعاء في كل صلاة.

٥- دعاء أثمن من الذهب والفضة:

عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال لي رسول اللّه ﷺ: «إذا اكتنز النّاس الدّنانير والدّراهم فاكتنزوا هؤلاء الكلمات: اللّهمّ إنّي أسألك الثّبات في الأمر والعزيمة على الرّشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شرّ ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم؛ إنّك أنت علام الغيوب» [صحيح ابن حبان ٢/ ٢٧٤، وصححه الألباني في الصحيحة ٣٢٢٨].

قال ابن القيم رحمه الله: «لم يتخلف عن أحد كماله الممكن، إلا مِن ضعف صبره، فإن كمال العبد بالعزيمة والثبات، فمن لم يكن له عزيمة فهو ناقص، ومن كانت له عزيمة، ولكن لا ثبات له عليها؛ فهو ناقص.

فإذا انضم الثبات إلى العزيمة؛ أثمر كلَّ مقامٍ شريف، وحالٍ كامل، ومعلوم أن شجرة الثبات، والعزيمة، لا تقوم إلا على ساق الصبر» [طريق الهجرتين].

٦- علاج الهمّ والحزن:

عن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أصاب عبدًا همٌّ، ولا حزنٌ فقال: اللَّهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أَمَتِك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حُكْمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسمٍ هو لك، سَمَّيْتَ به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمْتَه أحدًا من خَلْقك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجِلاء حزني، وذهاب همّي، إلا أذهب اللَّه همَّه وحزنه، وأبدَلَه مكانه فرجًا»، قال: فقيل: يا رسول اللَّه ألا نتعلمها؟، فقال: «بلى، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها» [أخرجه أحمد في مسنده ٣٧١٢، وصححه الألباني في الصحيحة ١/ ٣٨٣].

قال ابن القيم رحمه الله : «في هذا الدعاء من المعارف الإلهيَّة، وأسرار العبوديَّة ما لا يتَّسع له كتابٌ، فإنّه يتضمَّن الاعتراف بعبوديّته وعبوديّة آبائه وأمّهاته، وأنّ ناصيته بيده يصرّفها كيف يشاء، فلا يملك العبد دونه لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياةً، ولا نشورًا؛ لأنّ من ناصيته بيد غيره، فليس إليه شيءٌ من أمره، بل هو تحت سلطان قهره.

فقوله: «ماضٍ فيَّ حُكْمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤك»: متضمِّنٌ لأصليْن عظيمين عليهما مدار التّوحيد:

أحدهما: إثبات القدر، وأنّ أحكام الرّبّ تعالى نافذةٌ في عبده ماضيةٌ فيه، لا انفكاك له عنها، ولا حِيلَة له في دفعها.

والثّاني: أنّه -سبحانه- عدلٌ في هذه الأحكام، غير ظالِم لعبده، بل لا يخرج فيها عن موجب العدل والإحسان، فإنَّ الظّلم سببه حاجة الظّالم، أو جهله أو سفهه، فيستحيل صدوره ممّن هو بكلّ شيءٍ عليمٌ، ومن هو غنيٌّ عن كلّ شيءٍ، وكلّ شيءٍ فقيرٌ إليه، ومن هو أحكم الحاكمين، فلا تخرج ذرّةٌ من مقدوراته عن حكمته وحمده، كما لم تخرج عن قدرته ومشيئته، فحكمته نافذةٌ حيث نفذت مشيئته وقدرته، ولهذا قال نبيُّ اللّه هودٌ -صلّى اللّه على نبيّنا وعليه وسلّم- وقد خوَّفه قومه بآلهتهم: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: ٥٤- ٥٦]، أي: مع كونه -سبحانه- آخذًا بنواصي خلقه وتصريفهم كما يشاء،

فهو على صراطٍ مستقيم لا يتصرَّف فيهم إلّا بالعدل والحكمة، والإحسان والرّحمة. فقوله: «ماضٍ فيَّ حكمك»، مطابقٌ لقوله: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾، وقوله: «عدلٌ فيَّ قضاؤك» مطابقٌ لقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾، ثمّ توسّل إلى ربّه بأسمائه الّتي سمَّى بها نفسه ما علم العباد منها وما لم يعلموا. ومنها: ما استأثره في علم الغيب عنده، فلم يُطْلِع عليه مَلَكًا مقرّبًا، ولا نبيًّا مرسلًا، وهذه الوسيلة أعظم الوسائل، وأحبُّها إلى اللَّه، وأقربها تحصيلًا للمطلوب.

وقوله: «أن تجعل القرآن ربيع قلبي..»: فمعناه أن يجعل القرآن لقلبه كالرّبيع الّذي يرتع فيه الأحياء، وذلك لأن القرآن ربيع القلوب، وشفاؤها، ومُذْهِب غمومها، وهمومها، ولهذا كان هذا الدعاء بمنزلة الدّواء الّذي يستأصل الدّاء، ويُعِيد البدن والقلب إلى صحَّته واعتداله، فأحرى بهذا الدعاء حقًّا، إذا صدق الداعي فيه، أن يصلح اللَّه له قلبه ويشفي صدره، ويرزقه العافية من كل بلاء، والنجاة من كرب، والسلامة من كل هم، واللَّه الموفّق» [زاد المعاد ٤/ ١٨٥].

٧- نداء الظلمات:

عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ»

[أخرجه أحمد في مسنده ١/ ١٧٠، وصححه الألباني في الصحيحة ٤/ ٣٢٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنّ في هذه الدعوة المباركة، من كمال التّوحيد، والتّنزيه للرّبّ -تعالى- واعتراف العبد بظلمه، وذنبه، ما هو من أبلغ أدوية الكرب، والهمّ، والغمّ، وأبلغ الوسائل إلى اللَّه -سبحانه- في قضاء الحوائج؛ فإنّ التّوحيد، والتنزيه، يتضمنان إثبات كل كمال للَّه، وسلب كلّ نقصٍ، وعيبٍ، والاعتراف بالظّلم يتضمّن إيمان العبد بالشّرع، والثّواب والعقاب، ويُوجِب انكساره ورجوعه إلى اللَّه، واستقالته عثرته، والاعتراف بعبوديته، وافتقاره إلى ربه، فها هنا أربعة أمورٍ قد وقع التّوسُّل بها؛ التّوحيد، والتّنزيه، والعبوديّة والاعتراف» [الطب النبوي].

فائدة عظيمة النفع:

التّوحيد مفزع أولياء اللَّه، وأعدائه؛ فأمّا أعداؤه

فينجيهم من كرب الدنيا، قال -تعالى-: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وأمّا أولياؤه فينجِّيهم به من كرب الدنيا والآخرة وشدائدها، ولذلك فزع إليه نبي اللَّه يونس عليه السلام فنجّاه اللَّه من تلك الظلمات، وفزع إليه أتباع الرسل، والصالحون من بعدهم، ولما فزع إليه فرعون عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق له لم ينفعه؛ لأنَّ الإيمان عند المعاينة لا يُقبَل، هذه سُنَّة اللَّه في عباده.

فما دُفِعَتْ شدائد الدنيا بمثل التّوحيد، ولذلك كان دعاء الكرب التوحيد، ودعوة ذي النون، التي ما دعا بها مكروب إلا فرَّج اللَّه كربه، بالتوحيد. فالتوحيد: هو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها.

٨- سرُّ الاستعاذات الثمانية:

عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «اللَّهمّ إنّي أعوذ بك من الهمِّ والحَزَن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضِلَع الدَّيْن، وغَلَبَة الرّجال» [صحيح الأدب المفرد، ص: ٢٥١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الدعاء المبارك، قد تضمَّن الاستعاذة من ثمانية أشياء؛ كلّ اثنين منها، قرينان مزدوجان، فالهمّ والحزن أخوان، والعجز والكسل أخوان، والجبن والبخل أخوان، وضِلَع الدَّيْن، وغلبة الرّجال أخوان.

فإنَّ المكروه المؤلم إذا ورد على القلب، فإمّا أن يكون سببه أمرًا ماضيًا، فيوجب له الحزن، وإن كان أمرًا متوقّعًا في المستقبل، أوجب الهمَّ.

- وتخلّف العبد عن مصالحه، وتفويتها عليه، إمّا أن يكون من عدم القدرة، وهو العجز، أو من عدم الإرادة وهو الكسل.

- وحبس خيره، ونفعه، عن نفسه، وعن بني جنسه، إما أن يكون منع نفعه ببدنه، فهو الجبن، أو بماله، فهو البخل.

- وقهر النّاس له إمّا بحقٍّ، فهو ضِلَع الدَّيْن، أو بباطلٍ، فهو غلبة الرِّجال، فقد تضمَّن الحديث الاستعاذة من كلّ شرٍّ» [زاد المعاد ٤/١٩٢].

٩- نداء الشدائد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا اجتهد في الدعاء قال: يا حي يا قيوم» [أخرجه الترمذي ٩/ ١٣٢، وقال: حديث حسن].

قال ابن القيم رحمه الله: «وفي تأثير قوله: «يا حيّ يا قيّوم» في إجابة الدعاء مناسبةٌ بديعةٌ، فإنّ صفة الحياة متضمّنةٌ لجميع صفات الأفعال، ولهذا كان اسم اللَّه الأعظم الّذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى: هو اسم الحيّ القيّوم، والحياة التّامّة، تُضَادُّ جميع الأسقام، والآلام، ولهذا لمّا كملت حياة أهل الجنّة، لم يلحقهم همٌّ، ولا غمٌّ، ولا حزنٌ، ولا شيءٌ من الآفات.

ونقصان الحياة، تضرُّ بالأفعال، وتنافي القيّوميّة، فكمال القيّوميّة لكمال الحياة.

- فالحيّ المطلق، التّامّ الحياة، لا تفوته صفة الكمال أبدًا.

- والقيّوم لا يتعذّر عليه فعلٌ ممكنٌ أبدًا.

- فالتّوسّل بصفة الحياة والقيومية له تأثيرٌ في إجابة الدعاء من هذا الوجه» [الطب النبوي: ١٥١].

١٠- النداء العجيب:

عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألظُّوا بـ«يا ذا الجلال والإكرام» [أخرجه أحمد في مسنده ٤/ ١٧٧، وصححه الألباني في الصحيحة ٤/ ٤٩].

(الجلال): هي النعوت (الصفات) القهرية، كالانتقام والقهر والجبر، والعظمة نحو المنتقم القهار الجبار العزيز العظيم.

(والإكرام): هو النعوت (الصفات) الجمالية، كالكريم الستار الرؤوف الرحيم الغفار.

والإكثار من هذين الاسمين، يُعَدُّ إكثار من الثناء على اللَّه، وهو -سبحانه- يُحب أن يُحْمَد، ويُثْنَى عليه، والإكثار من هذا الثناء يملأ قلب العبد، بحسن الظن، في الكريم -سبحانه-.

فإن كان قلبك في حال رغبةٍ أو رَهْبةٍ، وأردتَ أن تدعو؛ فعليك بهذا الثناء العظيم.

فإذا قلت: يا ذا الجلال! فاستحضر بقلبك، وتصوَّر بعقلك معانيَ وآثارَ صفات الجلال للَّه-سبحانه- مثل صفة العظمة، وذلك بأن تتذكر عظمة العرش، وكيف أنه أكبر وأعظم المخلوقات، أو تتذكر عِظَم خَلْق

السموات والأرض والجبال، أو عِظَم خلق الفضاء والنجوم، أو تتذكر سَعَة هذا الكون.. وهكذا، كلما أردتَ أن تدعو دعاءً آخر، فاستحضر معاني صفةٍ أخرى، واستحضر آثارها من حولك، فذلك أدعى لأن يمتلئ القلب بإجلال اللَّه والخشية والحياء منه، وهذا أنسب وأليق بمقام الدعاء وأدعى لقبوله وإجابته.

ثم انتقل بقلبك بعد ذلك إلى رحاب صفات الإكرام، وتذكر كيف هي رحمة اللَّه بعباده، ورحمته بك أنت خاصةً، وكيف سِتْرُه وحِلْمُه عليهم، وكم سَتَرَكَ وحَلمَ عليك أنت خاصة! وكذلك إحسانه إلى الناس عامة، وكيف إحسانه وإنعامه عليك أنت خاصة، فذلك أدعى لأن يمتلئ القلب بالرغبة فيما عند اللَّه، وبحسن الظن فيه -سبحانه-؛ لأن الكريم لا يقطع عادته.

ثُمَّ انتقل بعد ذلك إلى سؤالك الذي تريد أن تسأله، فأنت حينها، أقرب إلى الإجابة.

١١- أقوى دعاء لكشف الكرب:

عن ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنّ نبيّ اللّه ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلّا اللّه العظيم الحليم، لا إله إلّا اللّه ربّ العرش العظيم، لا إله إلّا اللّه ربّ السّماوات وربّ الأرض وربّ العرش الكريم» [أخرجه البخاري٨/ ٧٥، ومسلم ٤/ ٢٠٩٢].

تأمل أخي الكريم، ذُكِرَ عرش الرحمن، في هذا الدعاء مرتين، ولا شكَّ هناك مناسبةٌ بين العرش وبين تفريج الكرب، ولتوضيح هذه المناسبة، اقرأ هذا الحديث الجليل، الذي فيه بيان صفة عرش الرحمن: «إنّ ما بين السّماء والأرض، مسيرة خمسمائة عامٍ، وما بين كلّ سماءين مسيرة خمسمائة عامٍ، ونضد كلّ سماءٍ - يعني غِلَظه - خمسمائة عامٍ، وما بين السّماء السّابعة وبين الكرسيّ مسيرة خمسمائة عامٍ، وما بين الكرسيّ إلى الماء، مسيرة خمسمائة عامٍ، والعرش فوق الماء، واللّه -تبارك وتعالى- فوق العرش، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء» [رواه ابن خزيمة موقوفاً على ابن مسعود، وصححه ابن القيم، والذهبي وله حكم الرفع، لأنه مما لا يقال بالرأي].

وأما صفة الكرسي، بالنسبة للعرش: فعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قلت يا رسول اللَّه: أيّ آيةٍ أنزلها اللَّه عليك أعظم؟، قال: «آية الكرسيّ»، ثمّ قال: «يا أبا ذرٍّ ما السّماوات السّبع في الكرسيّ إلّا كحلقةٍ ملقاةٍ في أرضٍ فلاةٍ، وفضل العرش على الكرسيّ كفضل الفلاة على تلك الحلقة» [أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ١٤٩].

وهذا الحديث على سبيل التقريب، وإلا فالعرشُ قدْرُه عظيمٌ وجليل، ولا يُقَدِّر أحدٌ قَدْرَه، كما جاء عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما، في قوله تعالى: (وَسِعَ كرسيّه السّموات والأرض) قال: «الكرسيُّ، موضع القدمين، والعرش لا يُقَدِّر أحدٌ قَدْرَه» [أخرجه الدارقطني في الصفات (٣٦) وقال الذهبي في العلو ١/ ٦١: رواته ثقات].

تخيل أخي الكريم، سُمْك السماء الواحدة: يساوي مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء وأخرى: يساوي أيضًا مسيرة خمسمائة عام، يعني: سُمْك السموات السبع، وما بينهم: يساوي مسيرة خمسمائة وستة آلاف عام.

واللَّه -عز وجل- يقول: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]،

فالآية الكريمة، تدل على أن سُمك الأرض، مثل سمك السماء.

وما بين الكرسي إلى الماء، مسيرة خمسمائة عام، والسموات السبع والأراضين السبع وما بينهما، بالنسبة للكرسي: كحلقة في أرض فلاة، سبحان اللَّه العظيم!

تخيل أخي القارئ: هذه المسافة العظيمة جدًّا، بالنسبة للكرسي: كخاتم أُلْقِيَ في صحراء شاسعة.

وهذا الكرسي العظيم، بالنسبة للعرش: أيضًا كخاتم، أُلْقِيَ في صحراء شاسعة.

واللَّه إن هذا الوصف لتعجز عن تصوُّره العقول وتحتار فيه الألباب..

فإذا علمت هذا، و«قابلت بين ضيق الكرب وسعة أوصاف العرش التي ذكرنا، وسعة الأوصاف الّتي تضمَّنها دعاء الكرب، من توحيد الإلهيّة، والرّبوبيّة، ووصف الرّبّ -سبحانه- بالعظمة والحلم، وكون هذه الصفات تستلزم كمال القدرة، والرّحمة، والإحسان، والتّجاوز، وجدته في غاية المناسبة لتفريج هذا الضّيق، وخروج القلب منه إلى سعة البهجة والسّرور» [الطب النبوي: ١٥١، بتصرف].

١٢- أمانك في الآخرة:

عن عائشة، قالت: دخل على رسول اللَّه ﷺ رجلان فكلَّماه بشيءٍ، لا أدري ما هو فأغضباه، فلَعَنهما، وسبَّهُما، فلمَّا خرجا، قلت: يا رسول اللَّه مَا أصاب مِن الخير شيئًا، ما أصابه هذان، قال: «وما ذاك» قالت: قلت: لعنتهما وسببتهما، قال: «أو ما علمتِ ما شارطتُ عليه ربّي؟ قلت: اللَّهمّ إنّما أنا بشرٌ، فأيُّ المسلمين لَعَنْتُهُ، أو سَبَبْتُهُ فاجعلْهُ له زكاةً وأجرًا» [أخرجه مسلم ٤/٢٠٠٧].

تأمل كيف كان النبي ﷺ يجتهد في محاسبة نفسه، ويخشى من ظلم، أو اعتداء، قد يقع منه دون قَصْد، أو تعمُّد، لأيِّ سببٍ من الأسباب، على أيِّ أحدٍ من المسلمين، وتأمل رحمته ﷺ بأُمَّتِه، لما دعا ربه -عز وجل- أن يجعل الخطأ غير المقصود منه، في حق أيِّ مسلم، زكاةً وأجرًا.

وتأمل كذلك: كم نخطئ في حق الآخرين وننسى؛ نشتم، ونسبُّ، ونلعن، وننسى، نغتاب إخواننا، وننسى!!

وتأمل كذلك أخي إذا وقفنا للحساب، ووقف أمام

كل واحد منا صفٌّ طويلٌ ممن ظلمناهم في الدنيا، فيأخذون من حسناتنا، حتى إذا فَنِيَتْ طرحوا علينا من سيئاتهم، كما جاء في الحديث: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار» [رواه مسلم]، فأيُّ أمان لنا في هذا الموقف المخيف؟!

ولهذا فنحن أولى بهذه المحاسبة، ولما كان التحلُّل من هذه المظالم، يصعب في أوقات، ويستحيل في أوقات أخرى، بسببٍ قد يختص بالمظلوم، فيبقى على عاتقنا، وفي أعناقنا الدعاء لمن ظلمناهم، وتعدَّيْنَا عليهم؛ حفاظًا على حسناتنا يوم الحساب، وخير ما ندعو به لهؤلاء هذا الدعاء المبارك.. فاللَّهم إنما نحن بشر، فأيّما مسلم، لعنَّاه، أو آذيناه، أو سببناه، فاجعلها له، زكاةً ورحمةً.

٥

وقفات
مع أحوال وأوقات الإجابة

«يا بُنَيَّ! عوِّدْ لسانك: «ربِّ اغفرْ لي»؛ فإن للَّه ساعات لا يرد فيها سائلًا» [لقمان الحكيم].

مَن تأمل أحوال وأوقات الإجابة حقًا، أحبَّ اللَّه حقًّا، فإن اللَّه قد فتح لنا أبواب السماء، بالليل وبالنهار، كل سنة، وكل شهر، وكل أسبوع، وكل يوم، وَسِعَ فضلُه كلَّ عباده، ويُرغِّبُهم ويُطَمِّعُهم فيه، ويَفتح أبواب رحماته، ولا يُقَنِّطُهم منها. فاللَّهم أعنَّا على ذِكْرك وشكرك وحسن عبادتك.. آمين.

١- عند الأذان:

قال رسول اللَّه ﷺ: «ثنتان لا تُرَدَّان، أو قلما تُرَدَّان: الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضًا» [أبو داود ٢٥٤٠، صحيح أبي داود٢/ ٤٨٣].

* * * * *

٢- بين الأذان والإقامة:

قال رسول اللَّه ﷺ: «الدعاء لا يُرَدُّ بين الأذان والإقامة؛ فادعوا» [الترمذي٢١٢، صحيح الترمذي٣/ ١٨٥].

* * * * *

٣- قبل إقامة صلاة الظهر:

كان رسول اللَّه ﷺ يصلي أربعًا بعد أن تزول الشمس قبل الظهر، وقال: «إنها ساعة تُفتح فيها أبواب السماء، وأحب أن يَصْعَد لي فيها عمل صالح» [الترمذي ٤٧٨، صحيح الترمذي١/ ١٤٧].

* * * * *

٤- عند إقامة الصلاة:

قال رسول اللَّه ﷺ: «ساعتان لا تُرَدُّ على داعٍ دعوته: حين تُقام الصلاة، وفي الصف في سبيل اللَّه» [ابن حبان٢٩٧، صحيح الترغيب والترهيب١/ ١٠٦].

* * * * *

٥- عند السجود:

قال رسول اللَّه ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ فأكثروا الدعاء» [أخرجه مسلم ٤٨٢].

وقفة مع السجود:

«السُّجود غاية الخضوع والذُّلِّ من العبد، وغاية تواضعه بأشرف شيءٍ فيه للَّه -وهو وجهه- بأن يضعه على التّراب، فناسب في غاية سفوله أن يصف ربَّه بأنَّه الأعلى». وفي الأثر: «يا ربّ أين أجدك؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم من أجلي»، ولأجل هذا كان أقرب ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجدٌ؛ لأنّه مقام ذلٍّ وانكسارٍ بين يدي ربّه» [مدارج السالكين].

وهو لاشك مقام إجلال وتعظيم للَّه بالقول والفعل، فكذلك -أيها الحبيب- كلما سمعت أو قرأت شيئًا،

يملأ قلبك بعظمة اللَّه وإجلاله، وآنَسْتَ مِن نفسك تأثُّرًا، فارفع يديك وادعُ؛ فإنك قريبٌ من الإجابة.

* * * * *

٦- دُبُر كلِّ صلاة مكتوبة:

قيل يا رسول اللَّه! أي الدعاء أسمع؟ قال: «جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات» [الترمذي ٣٤٩٩، صحيح الترمذي٣/١٦٨].

وقفة مع أهمية وفضل الصلاة وتأثيرها في إجابة الدعاء:

تخيل كيف هو فَضْل اللَّه، وكيف هو عطاؤه وإحسانه؟! كلما دخل وقت صلاة من الصلوات الخمس كل يوم يَفتح اللَّه أبوابَ السماء لعباده السائلين، ويسمع دعاءهم؛ ابتداءً من رفع الأذان، إلى أن تُقام الصلاة في المساجد، وأثناء الصلاة إلى أن ينتهي أحدنا من أداء الصلاة.

فسبحانك ربي ما أكرمك! وما أعظم فضلك!

تخيل أيها القارئ؛ خمس أوقات كل يوم الدعاء فيها مُجابٌ ولا يُرَدُّ، فقط بسبب هذه الشعيرة العظيمة

(الصلاة)، وذلك لأن الصلاة شأنها عظيم؛ فشأنها في تفريح القلب وتقويته، وشرحه وابتهاجه ولذّته أكبر شأنٍ، وفيها من اتِّصال القلب والرّوح باللَّه، وقُربه والتَّنعُّم بذِكْره، والابتهاج بمناجاته، والوقوف بين يديه، واستعمال جميع البدن وقواه وآلاته في عبوديَّته، وإعطاء كلِّ عضوٍ حظَّه منها، واشتغاله عن التَّعلُّق بالخلق وملابستهم ومحاوراتهم، وانجذاب قوى قلبه وجوارحه إلى ربِّه وخالقه .

فالصّلاة من أكبر العون على تحصيل مصالح الدّنيا والآخرة، ودفْع مفاسد الدّنيا والآخرة، وهي منهاةٌ عن الإثم، ودافعةٌ لأدواء القلوب، ومطردةٌ للدَّاء عن الجسد، ومنوِّرةٌ للقلب، ومبيِّضةٌ للوجه، ومنشِّطةٌ للجوارح والنَّفس، وجالِبَة للرِّزق، ودافعةٌ للظُّلم، وناصرةٌ للمظلوم، وقامعةٌ لأخلاط الشّهوات، وحافظةٌ للنِّعمة، ودافعةٌ للنِّقمة، ومنزلةٌ للرّحمة، وكاشفةٌ للغمّة، وحسبك من هذا كلّه قوله ﷺ: «الصلاة خيرُ موضوعٍ، فمَن استطاع أن يَستكثر، فليستكثر» [ابن حبان، صحيح الجامع ٣٨٧٠]» [الطب النبوي].

* * * * *

٧- ساعة كل ليلة:

قال رسول اللَّه ﷺ: «إن في الليل لساعة، لا يوافقها رجلٌ مسلم يسأل اللَّه خيرًا من أمر الدنيا والآخرة، إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة» [مسلم ٧٥٧].

وقفة مهمة:

«الحكمة مِن عدم تعيين هذه الساعة، هو المبالغة في الاجتهاد لتحصيل المراد، وعدم اليأس من الفَوْت، وعدم الاقتصار على العبادة في وقتٍ دون وقتٍ، وتخليص القلب من العُجْب والغرور، وكون العبد بين الرَّجاء والخوف» [مرقاة المفاتيح ٣/ ٩٢٥].

أخي الكريم، لا شك أن تحرِّي ليلة كاملة، قد يَشُقّ عليك وعلى كثير من المسلمين، لا سيما هذه الأزمنة، التي كثرت فيها المشاغل، والأعمال، والارتباطات، والمسؤوليات، لكن أخي: إنَّ الأمر يستحق، والفرصة لا تُعوَّض، ومِن عظيم كرم ربّنا؛ أن جعل هذه الساعة كل ليلة، فاحرص أخي أن تتحرَّى هذه الساعة المباركة، ولو مرة واحدة، واختر من ليالي الصيف، فإن الليل فيها أقصر، فواللَّه إنَّ الأمر يستحق العناء، فلعلك إن وُفِّقْتَ إليها؛ حصلت على

مرادك، وفرِّج عنك كربك، وقُضِي عنك دَيْنُك، وأعطاك اللَّه ما تريد.. وفَّقَنِي اللَّه وإياك، ولا حرمنا فضله.

* * * * *

٨- الثلث الأخير من الليل:

قال رسول اللَّه ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدّنيا حين يبقى ثلث اللّيل الآخر، يقول: مَن يدعوني فأستجيب له، مَن يسألني فأعطيه، مَن يستغفرني فأغفر له» [متفق عليه].

وقفة:

«هذا وقت شريف، مُرغَّبٌ فيه، خصَّه اللَّه -تعالى- بالتنزُّل فيه، وتفضَّل على عباده بإجابة مَن دعا فيه، وإعطاء مَن سأله؛ إذ هو وقت خلوة وغفلة واستغراق في النوم واستلذاذ به، ومفارقة الدَّعَة واللذة صعبٌ على العباد، لا سيما لأهل الرفاهية في زمن البرد، ولأهل التعب والنَّصَب في زمن قِصَر الليل، فمَنْ آثر القيام لمناجاة ربه والتضرع إليه في غفران ذنوبه، وفكاك رقبته من النار، وسأله التوبة في هذا الوقت

الشاقّ على خلوة نفسه بلذتها، ومفارقة دعتها وسكنها، فذلك دليل على خلوص نيته، وصحة رغبته فيما عند ربه، فضمنت له الإجابة التي هي مقرونة بالإخلاص، وصدق النية في الدعاء؛ إذ لا يقبل اللَّه دعاءً مِن قلب غافل لاهٍ؛ وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى بقوله: «والصلاة بالليل والناس نيام».

ولذلك نبَّه اللَّه عباده على الدعاء في هذا الوقت الذي تخلو فيه النفس من خواطر الدنيا، وعلائقها، ليستشعر العبد الجدّ والإخلاص لربه، فتقع الإجابة منه -تعالى- رفقًا من اللَّه بخلقه، ورحمةً لهم، فله الحمد دائمًا، والشكر كثيرًا، على ما أَلْهَمَ إليه عباده من مصالحهم، ودعاهم إليه من منافعهم، لا إله إلا هو الكريم الوهاب» [شرح ابن بطال على صحيح البخاري].

أخي الكريم: مَن ترك شيئًا للَّه عوَّضه اللَّه خيرًا منه، فمن ترك النوم، والراحة، والفراش الوثير، ليناجي ربه العلي الكبير، عوَّضه اللَّه بإجابة دعوته، وقبول توبته، وغفران ذنوبه، وتفريج كربه.

وهذا الفضل أيضًا لا ينقطع في يومك، وليلتك، وكل حياتك، فكلما تركت معصية، خوفًا من اللَّه،

أو تركت شبهةً ورعًا، كلما آثرت أمر اللَّه، ومرضاته، ومحابّه على مرضاتك، ومحابك، فارفع يدك بالدعاء، وأبشر بالإجابة، فإنك واللَّه قريب منها.

* * * * *

٩- آخر ساعة يوم الجمعة:

قال رسول اللَّه ﷺ: «يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة، فيها ساعة لا يوجد مسلم يسأل اللَّه فيها شيئًا إلا آتاه اللَّه - عز وجل - فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر» [أبو داود ١٠٤٨، صححه ابن حجر في الفتح٢/ ٣٥١].

وقفة مع ساعة الجمعة:

روى سعيد بن منصور في سننه من رواية أبي سلمة ابن عبد الرّحمن أنّ أناسًا من أصحاب النّبيّ ﷺ اجتمعوا، فتذاكروا السّاعة الّتي في يوم الجمعة، فتفرّقوا ولم يختلفوا أنّها آخر ساعةٍ من يوم الجمعة.

أخي القارئ، أختي القارئة، إنها ساعة من أجلّ ساعات الأسبوع، وقد أشار النبي ﷺ أشار بيده يُقَلِّلها؛ فاحرص على اغتنامها، فما هي إلا دقائق معدودة، لكنَّ فضائلها لا يحيط بها فِكْرٌ ولا يَتصورها عقلٌ.

دقائق إذا أخلصتَ الدعاء فيها تحققت الأماني، وفُرِّجَتْ الكروب، وحُلَّتْ جميع المشكلات.

دقائق أثمن من الذهب والفضة، بل خير من الدنيا وما فيها، لذلك كان السلف الصالح يجتهدون فيها بالدعاء، ويحرصون أشد الحرص على اغتنامها؛ حتى قال أحدهم: «من استقامت له جُمُعته، استقام له سائر أسبوعه».

وهذه بعض نماذج لتعظيمهم هذه الساعة وعلمهم بفضلها:

- كان المفضل بن فضالة إذا صلى عصر يوم الجمعة، خلا في ناحية المسجد وحده، فلا يزال يدعو حتى تغرب الشمس. (أخبار القضاة).

- وكان طاووس بن كيسان إذا صلى العصر يوم الجمعة، استقبل القبلة، ولم يكلم أحدًا حتى تغرب الشمس. (تاريخ واسط).

- ويقول أحد الصالحين: «ما دعوتُ اللَّه بدعوةٍ بين العصر والمغرب يوم الجمعة، إلا استجاب لي ربي؛ حتى استحييت»!!.

- وذكر ابن عساكر أن العمى أصاب الصلت بن

بسطام، فجلس إخوانه يدعون له عصر الجمعة، وقبل الغروب عطس عطسة، فرجع بصره. (تاريخ دمشق).

- وكان سعيد بن جبير إذا صلى العصر، لم يكلم أحدًا حتى تغرب الشمس. يعني كان منشغلًا بالدعاء [زاد المعاد ١/ ٣٨٢].

فائدة مهمة:

قال المهلّب: «حُجّة من قال أن ساعة الإجابة يوم الجمعةّ أنها بعد العصر، قوله -عليه الصّلاة والسّلام-: «يتعاقبون فيكم ملائكةٌ باللّيل وملائكةٌ بالنّهار ويجتمعون في صلاة العصر ثمّ يعرج الّذين باتوا فيكم»؛ فهو وقت العروج، وعرض الأعمال على اللَّه، فيوجب اللَّه -تعالى- فيه مغفرته وفضله ورحمته للمصلّين من عباده» [طرح التثريب ٣/ ٢٠٨].

أخي القارئ: اجتمعت الملائكة عند صلاة العصر، لرفع أعمال عباده، فأوجب اللَّه لعباده فضله ومغفرته، إلى غروب الشمس، فاحرص أيها الحبيب كلما اجتمعت أو تواجدت الملائكة، ألا تضيع الفرصة، وألا تفوتها عليك، وبادر بالدعاء، فإن الدعاء عند وجود الملائكة مُجابٌ.

والمواطن التي تجتمع وتتواجد فيها الملائكة كثيرة، منها:

أ- عند صياح الدِّيَكَة:

قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا اللَّه من فضله، فإنها رأت ملكًا» [البخاري: ٣٣٠٣].

ب- عند المريض:

قال رسول اللَّه ﷺ: «ما من رجل يعود مريضًا مُمْسِيًا إلا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح، ومن أتاه مُصْبِحًا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يُمْسِي» [أبو داود، صحيح الجامع ٥٧١٧].

جـ- عند المحتضر:

قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا حضرتم المريض أو الميت، فقولوا خيرًا، فإن الملائكة يؤمِّنون على ما تقولون» [مسلم: ٩١٩].

د- عند مجالس الذكر:

قال رسول اللَّه ﷺ: «إنّ للّه -تبارك وتعالى- ملائكةً سيّارةً، فُضْلًا يتتبَّعون مجالس الذِّكر، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكرٌ قعدوا معهم، وحفَّ بعضهم بعضًا بأجنحتهم، حتّى يملئوا ما بينهم وبين السّماء الدّنيا، فإذا تفرَّقوا عرجوا وصعدوا إلى السّماء، قال: فيسألهم اللَّه

-عزّ وجلّ- وهو أعلم بهم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادٍ لك في الأرض، يسبِّحونك ويكبّرونك ويهلّلونك ويحمدونك ويسألونك.

قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنّتك، قال: وهل رأوا جنّتي؟ قالوا: لا، أي ربّ قال: فكيف لو رأوا جنّتي؟

قالوا: ويستجيرونك، قال: ومِمَّ يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يا ربّ، قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا، قال: فكيف لو رأوا ناري؟

قالوا: ويستغفرونك، قال: فيقول: قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم ممَّا استجاروا، قال: فيقولون: ربّ فيهم فلانٌ عبدٌ خطّاءٌ، إنّما مرَّ فجلس معهم، قال: فيقول: وله غفرتُ؛ هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» [أخرجه مسلم ٢٦٨٩].

هـ- عند مجالس العلم:

قال رسول اللّه ﷺ: «لا يقعد قومٌ يذكرون اللّه -عزّ وجلّ- إلّا حفَّتهم الملائكة، وغشيتهم الرّحمة، ونزلت عليهم السّكينة، وذكرهم اللّه فيمن عنده» [أخرجه مسلم ٢٧٠٠].

و- وفي المسجد عند انتظار الصلاة:

قال رسول اللَّه ﷺ: «إنّ الملائكة تصلّي على أحدكم ما دام في مجلسه، تقول: اللَّهمّ اغفر له، اللَّهمّ ارحمه، ما لم يُحْدِث، وأحدكم في صلاةٍ ما كانت الصّلاة تحبسه» [أخرجه مسلم ٢٧٣].

* * * * *

١٠- شهر رمضان:

قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا دخل رمضان فُتِّحَتْ أبواب الجنة، وغُلِّقَتْ أبواب جهنم، وسُلْسِلَتْ الشياطين» [أخرجه البخاري ١٨٩٩].

وفي رواية: «فُتِّحَتْ أبواب الرحمة» [أخرجه مسلم ١٠٧٩].

وقفة مع شهر رمضان:

ذكر اللَّه آيات الصيام أولًا، ثم أعقبَها بذِكْر القرآن الكريم، ثم أعقب بذكر الدعاء، وفي هذا إشارة إلى أن الصوم وقراءة القرآن من أعظم أسباب إجابة الدعاء، فكيف إذا كان الصوم مفروضًا.

وقفة أخرى:

والمراد من فتح أبواب الجنة هو: سعة رحمة اللَّه -تعالى- وإزالة الغَلْق عن مصاعد أعمال العباد، تارة ببذل التوفيق، وأخرى بحسن القبول، بالإضافة إلى كثرة الثواب والعفو.

فيا أخي الكريم: إذا بلَّغَكَ اللَّه شهر رمضان المبارك، الذي هو مِن أعظم النفحات وأجلّ المواسم، فاحرص على كل دقيقة فيه، تقرأ فيها آية، تدعو فيها دعوة، احرص أخي على كل دقيقة ما استطعت إلى ذلك سبيلًا، فإنَّ هذه الدقيقة إذا مرَّت؛ فلن تعود إلى يوم القيامة.

* * * * *

١١- ليلة القدر:

قال اللَّه -تعالى-: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [سورة القدر].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت: يا رسول اللَّه أرأيت

إن علمت أيَّ ليلةٍ ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «قولي: اللَّهم إنك عفوّ كريم تحب العفو فاعف عني» [الترمذي ٣٥١٣، صحيح الترمذي٣/ ١٧٠].

وقفة مع دعاء ليلة القدر:

ليلة القدر من أوقات الاستجابة، فينبغي للمؤمن أن يُكْثِرَ فيها من الدعاء، ولهذا سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن صيغةٍ تدعو بها تلك الليلة، وقد بيَّن رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وآله وسلم- لزوجه الكريمة عليه، صيغة الدعاء، تخيل أخي: ليلة بهذا القدر وبهذه المنزلة العظيمة عند اللَّه -تعالى- كيف يكون أجر الدعاء فيها.

فيا أخي: لا تَمَلَّ مِن تكرار هذا الدعاء ليلة القدر، وفضِّله على ما سواه؛ لأنه لفظ أفضل الخلق، الذي علَّمه لأحب زوجاته، وفي هذا الدعاء المبارك إيماءٌ إلى أن أهم المطالب: انفكاك الإنسان مِن تَبِعَات الذنوب، وطهارته من دَنَس العيوب، فطوبى لعبدٍ قد غفَر اللَّه له خطاياه، وبلَّغه مراده، ومُنَاه.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

١٢- يوم عرفة:

قال رسول اللَّه ﷺ: «خيرُ الدعاء دعاءُ يوم عرفة، وخيرُ ما قلتُ أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» [أخرجه الترمذي ٣٥٨٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي٣/ ١٨٤].

وقفة مع يوم عرفة:

يوم عرفة هو الموسم الأكبر، والفرصة العظمى، بل كما سمَّاه بعضهم: هو يوم الدعاء الأكبر، كما أن يوم النحر (أول أيام عيد الأضحى)، هو يوم الحج الأكبر، ويكفيك فضلًا له أنه أكثر يوم يعتق اللَّه -عز وجل- فيه العباد من النار، واليوم الذي يباهي اللَّه -عز وجل- فيه الملائكة بالحجيج.

وهذه خطوات يسيرة -بإذن اللَّه-، أُذكِّر بها نفسي وإياك فاحرص عليها؛ عسى أن نكون ممن أعتق اللَّه رقبتهم من النار، وأن نكون من الفائزين:

أولًا: احرص على أن تصوم هذا اليوم المبارك، إلا أن تكون حاجًّا، أو أن يكون لك عُذْر، فقد قال رسول اللَّه ﷺ: «صيام يوم عرفة أحتسب على اللَّه،

أن يُكَفِّر السنة التي قبله، والتي بعده» [أخرجه مسلم ١١٦٢].

وبهذا تكون قد اجتمع لك سببان من أعظم أسباب الإجابة: عبادة الصوم، وفضل يوم عرفة.

ثانيًا: أكثر في هذا اليوم من هذا الذكر المبارك (لا إله إلا اللَّه، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير)؛ فقد قال رسول اللَّه ﷺ: «خير الدعاء دعاءُ يوم عرفة، وخيرُ ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كل شيء قدير» [أخرجه الترمذي والطبراني، السلسلة الصحيحة٤/٨].

وقال عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما: «كان أكثر دعاء النبي ﷺ يوم عرفة: لا إله إلا اللَّه وحده لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كل شيء قدير» [رواه أحمد في مسنده٦٩٦١ تحقيق شاكر].

وذكر الإمام ابن رجب مناسبة لطيفة بين خصوص هذا الذِّكْر المبارك يوم عرفة، وبين كثرة الرقاب التي يعتقها اللَّه في هذا اليوم، فقال رحمه الله: «تحقيق كلمة التوحيد يُوجِب عتق الرقاب، وعتق الرقاب يُوجِب العتق من النار، كما ثبت في الصحيح: أنَّ مَن قالها مائة مرة كان له عدل عشر رقاب.

وثبت أيضًا: أنَّ مَن قالها عشر مرات، كان كمن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، فكأنك أيها الذاكر تُعْتِق، واللَّه على الحقيقة يُعْتِق، وليس أوسع منه فضلًا ولا أوسع منه رحمة، فاللَّهم أعتق رقابنا من النار.

همسة في أذنك أيها القارئ:

احرص على تفريغ نفسك تمامًا لهذا اليوم العظيم، ما استطعت، ونَمْ مبكرًا، وإياك والسهر، ولا تَمَلَّ ولا تستثقلُ الساعات، فما أسرع الوقت، وإنما هو من الفجر إلى المغرب، وفَّقَنا اللَّه وإياك لما يحب، وتقبل منا ومنك.

* * * * *

١٣- وقت نزول المطر:

قال رسول اللَّه ﷺ: «ثنتان ما تُرَدَّان: الدعاء عند النداء، وتحت المطر» [الطبراني في الكبير ٥٧٥٦، صحيح الجامع ٣٠٧٨].

وقفة مع نزول المطر:

المطر إما رحمة وإما عذاب، فإذا أنزل اللَّه مطر الرحمة فهو غيثٌ، يُغِيثُ به مَن يشاء مِن عباده، وهو

رحمة، ينشرها اللَّه هنا وهناك بقَدر ما يشاء، على مَن يشاء من خلقه، كما قال -سبحانه-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨].

ولذلك قال بعض أهل العلم: «إذا كان وقت نزول المطر وقت إجابة، فهذا لأنه وقت توزيع فَضْل اللَّه، ونَشْر رحمة اللَّه، فلا ينبغي لعاقلٍ أن يُضيِّع مثل هذه الفرصة العظيمة، فليرفع يديه، ويسأل اللَّه مِن فضله ورحمته ما يشاء، فهذا وقت الكرم، وهذا وقت العطاء».

تنبيه:

لا يختص هذا بالمطر فقط، بل كل فضل، وكل عطاء، رأيته أو سمعت به يُعْطَى؛ فارفع يديك في الحال وسَلْ اللَّه مِن فضله ما شئت، كما فعل زكريا عليه السلام لما وجد عند مريم - عليها السلام - فاكهة الصيف وقت الشتاء، وفاكهة الشتاء وقت الصيف، وسألها من أين هذا؟ وكيف هذا؟ قال -تعالى-: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن

﴿يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

فلما علم أن هذا مِن فضل اللَّه -سبحانه- وأنه كَرَم اللَّه، وأنه عطاء اللَّه لمريم -عليها السلام- مع أنه هو الذي يَكْفُلُها، ويَقُوم برعايتها؛ عَظُمَت الرغبة في قلبه، ودعا في هذه اللحظة، ولم يتردد، ولم يتأخر لعلمه بأنه وقت الكرم والعطاء، وسأل ربَّه أن يجعل النبوة في ذريته.

وفي الحديث: قال ﷺ «بُورِكَ لأُمَّتِي في بكورها» [أخرجه الطبراني في الأوسط وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٨٤١].

قال بعض أهل العلم: «تكون البركة في هذا الوقت أفضل من غيره من الأوقات؛ لأنه وقت توزيع الأرزاق، فلا يَليق بعاقل أن يُضَيِّع هذا الوقت المبارك، وهذه الفرصة العظيمة، ويسأل اللَّه من فضله، ورحمته -سبحانه-».

١٤- عند ختم القرآن الكريم:

قال العلماء: «يُستحبُّ لقارئ القرآن إذا ختَمه أن يجمع أهله؛ فإنَّه رُوِيَ عن أنس بن مالكٍ أنه كان يجمع أهله عند ختم القرآن.

وعنه أنه إذا أشفى على ختم القرآن بالليل أبقى أربع سورٍ أو خمس؛ فإذا أصبح جمَع أهله فختمه ودعا،

ويُستحبُّ لمن علم بالختم أن يحضره».

- وروي عن قتادة: «أنّ رجلًا كان يقرأ في مسجد رسول اللَّه ﷺ فكان ابن عباسٍ يجعل عليه رقيبًا؛ فإذا أراد أن يختم قال لجلسائه: قوموا بنا حتى نحضر الخاتمة».

- وعن مجاهد: «كانوا يجتمعون عند ختم القرآن ويقولون: الرحمة تنزل».

- وعن الحكم بن عتيبة قال: «كان مجاهد وعنده ابن أبي لبابة وأناسٌ يعرضون القرآن، فإذا أرادوا أن يختموه أرسلوا إلينا، وقالوا: إنّا نريد أن نختم فأحببنا أن تشهدونا؛ فإنّه يقال: إذا خُتِم القرآن نزلت الرّحمة عند ختمه، أو حضرت الرحمة عند ختمه».

- وقال وهيب بن الورد: قال لي عطاءٌ: «بلغني أنَّ حميد الأعرج يريد أن يختم القرآن، فانظر إذا أراد أن يختم فأخبرني حتَّى أحضر الختمة» [موارد الظمآن للسلمان].

* * * * *

١٥- عند الاستيقاظ من النوم ليلًا:

عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَن تعارَّ من اللّيل، فقال: لا إله إلّا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلّ شيءٍ قديرٌ، الحمد للَّه، وسبحان اللَّه، ولا إله إلّا اللَّه، واللَّه أكبر، ولا حول ولا قوّة إلّا باللَّه، ثمَّ قال: اللَّهمَّ اغفر لي، أو دعا، استُجِيبَ له، فإن توضّأ وصلّى قبلت صلاته» [أخرجه البخاري ٢/ ٥٤].

لاحظ أخي الكريم: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يشترط الوضوء قبل النوم، للحصول على هذه الجوائز العظيمة، فقط: إذا انتبهت من نومك، فالْهَجْ بهذه التسابيح، ثم ادعُ بما شئت.

- أما إذا نمتَ على وضوء، فقل هذه التسابيح (قبل النوم)، ثم إذا انتبهت من نومك، فادع اللَّه مباشرة، فإنَّ دعوتك مستجابةٌ؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من مسلم يبيت على ذِكْر اللَّه طاهرًا، فيتعارَّ من اللَّيل فيسأل اللَّه خيرًا من أمر الدُّنيا والآخرة إلّا أعطاه إيّاه» [أخرجه أحمد٣٦/ ٣٧٣، الصحيحة ٧/ ٨٥٠].

* * * * *

١٦- عند التقاء الصفوف في سبيل اللَّه:

عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ثِنْتان لا تُرَدَّان، أو قلَّما تُرَدَّان؛ الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضًا» [أخرجه الدارمي ١/ ٢١٧، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٢/ ٢٨٣].

كيف لا يقبل اللَّه -تعالى- دعاءَ مَن حمل روحه بين يديه، وقدَّمها عن طيب نفس لمولاه، ويتمنَّى لو كانت له روحٌ أخرى لقُتِلَ في سبيل إرضاء ربه مرة أخرى، فواللَّه لو قدَّم بضع ركعات، أو بضع صفحات من القرآن، أو قدَّم صدقةً؛ لقَبِلَ اللَّه منه، فكيف وقد قدَّم العبد أغلى ما يملك، ويأبى اللَّه أن يكون عبدُه أكرم منه، لذلك أعطَى اللَّه المجاهدين في سبيله إجابةَ دعائهم عند التحام الصفوف، غير ما يدَّخِره لهم من عطاءٍ في الآخرة.

٦

كيف أدعو؟

سمع رسول اللَّه ﷺ رجلًا يدعو في صلاته، لم يُمَجِّد اللَّهَ -تعالى-، ولم يُصَلِّ على النبي ﷺ فقال رسول اللَّه ﷺ: «عَجِلَ هذا»، ثم دعاه، فقال له أو لغيره: «إذا صلّى أحدكم؛ فليبدأ بتحميد ربه -عز وجل-، والثناء عليه، ثم يُصلِّي على النبي ﷺ، ثم يدعو بعدُ بما شّاء» [أخرجه أبو داود ١٤٨١، وصححه الألباني].

إن المسلم الصادق المُحِبّ للَّه ولرسوله ﷺ يعلم أن هدي النبي ﷺ أفضل الهَدْي، وطريقته خير الطرق، وقد دلَّنا رسولنا الكريم ﷺ على أفضل الطرق لكيفية الدعاء، فإذا أردتَ أن تدعو أخي الكريم؛ فعليك بهذا الهَدْي النبوي المبارك.

١- الحمد

من فضل اللَّه على عباده أنه يبدؤهم بالمنِّ والعطاء، قبل أن يسألوه، فاستوجب منهم الحمد، ونبَّههم عليه؛ ليكثروا منه.

فالحمد يشمل كل نعمة حاصلة يعلم بها العبدُ ظاهرةً عليه، وكل نعمة منتظرة يرجوها العبد، ويسعى لينالها، وكل نعمة هو فيها، ولا يشعر بها، فكلُّ شيء في حياة العبد مهما قلَّ؛ هو نعمة من اللَّه -عزَّ وجل- تستوجب الحمد، فاللَّهم لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه.

فما أجمل أن ننفتح على حمد اللَّه -تعالى- ونعيش قيمة هذا الحمد في أنفسنا، ونُحَوِّلها إلى طاقةٍ تدفعنا نحو الخير والإحسان والعطاء، ويكون الحمد مُعِينًا لنا على تأدية حقِّ اللَّه علينا، وصونًا لأنفسنا عن محارمه، فهو الرَّبُّ العظيم الَّذِي ليس كمثله شيء، ومن حقِّه علينا أن نُمَجِّده ونعبده، ونتوجَّه إليه وحده.

وهذه سورة الفاتحة أعظم سورة في القرآن فيها أعظم وأنفع دعاء، بُدِئَتْ بالحمد قبل الدعاء، تنبيهًا لفضل

الحمد، وإرشادًا لأقوم طريقة للدعاء.

ولتعلم كم هي العلاقة وطيدة بين الحمد والدعاء، وكيف أن الحمد يزيد في خشوع السائل، ويملأ قلب الداعي ثقةً بربه، ويعظم من رغبته فيما عنده، اقرأ معي هذا الموقف المهيب يوم القيامة، حين يسأل الناس الرسل -عليهم السلام- أن يشفعوا عند اللَّه ليبدأ الحساب، فيعتذرون منهم إلا رسول اللَّه ﷺ ومما جاء فيه، أنه قال: «فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربي -عز وجل- ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا، لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه، واشفع تشفع» [صحيح البخاري].

تأمل كيف فتح اللَّه -عز وجل- على رسوله ﷺ بمحامدَ قبل أن يجيبه، بل تأمل كيف أن هذه المحامد لم يَفتح اللَّه بها على أحدٍ قبل الرسول ﷺ وما ذاك إلا لِعِظَم السؤال الذي سيسأله ﷺ فإنه ينبغي على الداعي أن يُقَدِّم للَّه حمدًا يناسب رغبته وسؤاله.

وقد استفاضت النصوص في فضل الحمد والإكثار منه، منها:

قوله ﷺ: «أما إنَّ ربك يحب المحامد» [أخرجه أحمد والنسائي، السلسلة الصحيحة: ٣١٧٩].

وقوله ﷺ: «أفضل الدعاء الحمد للَّه» [صحيح الترغيب والترهيب: ١٥٢٦].

وقوله ﷺ: «أفضل عباد اللَّه الحمَّادون» [صحيح الجامع: ١٥٧١].

وأفضل المحامد التي تَحمد بها ربك، هي تلك المحامد التي حمده بها أقرب الناس منه، وأحبهم إليه، رسولُ اللَّه ﷺ، من هذه المحامد:

١- الحمد للَّه الذي كفاني وآواني، الحمد للَّه الذي أطعمني وسقاني، الحمد للَّه الذي مَنَّ عليَّ وأفضل..

- **أخبر النبي ﷺ أنها تعدل محامد الخلق كلهم.**

٢- اللَّهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان..

٣- الحمد للَّه عدد ما خلق، الحمد للَّه ملء ما خلق، الحمد للَّه عدد ما في السموات وما في الأرض، الحمد للَّه عدد ما أحصى كتابه، والحمد للَّه على ما أحصى

كتابه، والحمد للَّه عدد كل شيء، والحمد للَّه ملء كل شيء، وتسبح اللَّه مثلهن..

- **أخبر النبي ﷺ أنها أفضل وأكثر مِن ذِكْر اللَّه الليل مع النهار.**

واعلم أيها القارئ أن صِيَغ الحمد في القرآن، وفي أدعية النبي ﷺ كثيرةٌ، فاختر منها ما شئت، فكلها كافٍ وافٍ.

٢- الثنـــاء

إنَّ النفس البشرية بطبيعتها تميل للثناء على مَن أحسن إليها، ومَدْح مَن تفضَّل عليها، فلا يُنْكِر فَضلَ مَن له الفضل إلا جاحدٌ أو حاسدٌ.

فإذا كانت هذه الفطرة موجودة عند البشر تجاه البشر، فكيف يكون الثناء والمدح لرب البشر، الذي خلقنا من عدم، وأسبغ علينا النِّعَم؟ لا شك أنه ثناء ليس فيه تصنُّع ولا نفاق؛ لأن اللَّه -سبحانه- مُتَّصِف بكل جميل، أسماؤه كلها حسنى، ونعمه علينا تترا، وأفعاله كلها حكمة، أَحْرصُ على مصالحنا من أنفسنا، وأَرحمُ بنا من أمهاتنا، فهو -سبحانه- المستحِقّ لكل مدح وثناء.

فما أجمل الثناء حين يكون لأهل الثناء، وما أحسن التمجيد إذا كان لرب العبيد!

والثناء على اللَّه -تعالى- يكون بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فكل قول تَمدح به ربك جل وعلا؛ فهو ثناءٌ، واعلم أن أبلغ الثّناء قول: لا إله إلّا اللَّه، وهذه الصيغة

كثيرة جدًا في القرآن الكريم، وفي أدعية النبي ﷺ كيف لا؟! والإسلام كله جاء من أجل هذه الكلمة العظيمة، التي تُقرِّر الحقيقة الكبرى في هذا الكون.

ولا حَرَج أن تستخرج من القرآن الكريم ما يُلامس قلبك، ويسهل على لسانك، ويناسب حاجتك، لتُثْنِيَ به على ربك، مثل:

* يا مَن تقول للشيء: كن فيكون.
* يا مُكوِّر الليل على النهار، ومكوِّر النهار على الليل.
* يا مَن تحيي الموتى.
* يا مَن بيدك الخير.
* يا بديع السموات والأرض.
* يا أرحم الراحمين.
* يا مَن يسجد له من في السموات ومن في الأرض.
* يا مَن لا تخفى عليه خافية... وهكذا.

وعن إبراهيم التيمي قال: «كان يُقال: إذا بدَأ الرجل بالثناء قبل الدعاء فقد وجَب، وإذا بدأ بالدعاء قبل الثناء كان على رجاء» [أخرجه ابن أبي شيبة ٧/ ٢٤].

٣- الصلاة على النبي ﷺ

معلوم أن مَن أحبَّ شيئًا أكثَر مِن ذِكْرِه، ومِن علامة محبة النبي ﷺ الإكثار من الصلاة عليه ﷺ لا سيما وأنَّ الصلاة والسلام عليه من أفضل القُرُبات، ومن أجلِّ الطاعات، قال اللَّه -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

ومعنى صلاة اللَّه على نبيه: ثناؤه عليه بين الملائكة وفي الملأ الأعلى، وكذلك: الصلاة من اللَّه: رضوانه.

ومن الملائكة: الدعاء والاستغفار.

ومن الأمة: الدعاء والتعظيم لأمره.

واقرأ قول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ حول هذه الآية الكريمة حيث قال: «والمقصود من هذه الآية أن اللَّه -سبحانه وتعالى- أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه تُصلي عليه الملائكة، ثم أمر اللَّه -تعالى- العالم السفلي بالصلاة والسلام عليه،

ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا».

وقد جعل اللَّه -عز وجل- للصلاة على النبي ﷺ فضائل كثيرة ومزايا عديدة، من أهمها: أنها سبب لغفران الذنوب وتفريج الكروب ورفع الدرجات في الآخرة، وسبب لقبول الدعاء عند اللَّه، فكلما أكثرت منها قبل الدعاء؛ كان أدعى لإجابة دعائك، بل تستطيع أن تكتفي بها، وتجعل دعاءك كله صلاةً على النبي ﷺ كما جاء في الحديث أن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعلُ لك من صلاتي؟ فقال: «ما شئتَ» قلت: الربع؟ قال: «ما شئتَ فإنْ زدتَ فهو خيرٌ لك». قلت: النصف؟ قال: «ما شئت فإن زدت فهو خيرٌ لك» قلت: فالثلثين؟ قال: «ما شئت فإن زدت فهو خير لك» قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «إذا تكفى همك، ويغفر لك ذنبك» [رواه الترمذي ٢٤٥٧، وحسنه الألباني].

واعلم أيها الكريم أنَّ للصلاة على النبي صِيَغًا متعددة وكثيرة، ولكنَّ أقصرَ صيغةٍ وَرَدت في السُّنَّة هي: اللَّهم

صلِّ على محمد وآل محمد.

وأفضلها: الصلاة الإبراهيمية، التي تُقال بعد التشهُّد في الصلوات، مثل: «اللَّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

٤- تقديم التوبة الصادقة والاستغفار

إنَّ العبدَ ينبغي أن يَستحي من ربه أن يسأله وهو يعصيه، وفي الوقت نفسه لا يَستغني العبد عن ربه طرفة عين، حتى وإن كان يعصيه.

فمن لِأَكُفِّنا الفارغة، إلا خزائنُ اللَّه الملأى.

فاللَّه يُمْهِل العاصين، ويسترهم، ويَحْلُم عليهم، ورحمته -سبحانه- شَمِلَت المؤمن والكافر.

فإذا علمت ذلك؛ فقَدِّم توبتك واستغفارك بين يدي دعائك، فإنَّ صدق رغبتك فيما عند ربك؛ يحملك على أن تكون صادقًا مع نفسك.

وقد قال اللَّه -تعالى-: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، فقدَّم اللَّه الاستغفار والتوبة قبل الدعاء، ثم فتح باب الإجابة.

٥- إظهار الافتقار والحاجة مع عدم استغنائك عن مولاك

كأن تقول: اللَّهم أنت الغني وأنا الفقير إليك.

أو تقول: ربِّ إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير.

أو تقول: اللَّهم إن عصيتُ؛ فلا أستغني عن سترك، وإن ظلمتُ؛ فلا أستغني عن عفوك، وإن تماديتُ؛ فلا أستغني عن حِلْمكِ.

أو تقول: اللَّهم أسألك بقوتك وضعفي، وغناك وفقري، وعزتك وذُلّي، واستغنائك عني وحاجتي إليك.

قال سهل التستري: ليس بين العبد وبين ربه طريق أقرب إليه من الافتقار.

٦- ادع بما شئت

قد تكون الحاجات كثيرة، والهموم ثقيلة، والأحوال ضيِّقة، والآلام لا تنقطع، ورغبات النفس متنوعة.

فقد ترغب في شيء كبير وهو عند غيرك صغير، وقد تكون أمنية غيرك كبيرة وهي عندك صغيرة.

وإن اللَّه -عز وجل- يحب من عباده أن يسألوه جميع مصالحهم الدنيوية والأخروية، ويدعوه بكل ما يريدون ويحتاجون، صغيرًا كان أم كبيرًا، واقرأ معي هذا الجزء من الحديث القدسي الجليل، حيث يقول اللَّه -جل وعلا-: «يا عبادي ! كلكم ضالٌ إلا مَنْ هديته، فاسْتهدُوني أهدكم، يا عبادي! كلكم جائعٌ إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي! كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم...» [رواه مسلم: ٢٥٧٧].

وقد فهم السلف الصالح هذا المعنى، فكان أحدهم يسأل اللَّه -تعالى- في كل صغير وكبير، وكانوا يرشدون الناس لهذا الأمر، فهذه عائشة أم المؤمنين

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: «سَلُوا اللَّهَ كُلَّ شَيءٍ حَتَّى الشِّسْعَ، فَإِنَّ اللَّهَ إِن لَمْ يُيَسِّرهُ لَمْ يَتَيَسَّرْ» [أخرجه أبو يعلى، وقال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح].

والشِّسْعُ: هو سَورُ النعل الذي تدخل بين الأصبعين، ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النعل المشدود في الزمام.

وهذا عروة بن الزبير يقول: إني أسأل اللّه في صلاتي، حتى أسأله الْمِلْح إلى أهلي.

وحسبك من هذا، قول اللّه -عز وجل-: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

فادع اللّه بما شئتَ، وادعُ ربك في كلٍّ ما تحتاج، لا تَستقل دعوةً، ولا تَستصغر طلبًا.

٧- أكثر من الطلب ولا تستعظم شيئًا

إن عِظَم المسألة مرتبط بعظم المسؤول، أي: أن الناس لا تسأل شيئًا كبيرًا عظيمًا، إلا مِن شخص عنده مِن العظمة والقدرة والغنى ما يجعله أهلًا لإجابة مسألتهم، فكيف إذا كان المسؤول هو رب العالمين؟! ألم تر أن الناس إذا سألوا مخلوقًا مثلهم، رفعوا له يدًا واحدة، وإذا سألوا الخالق رفعوا إليه اليدين معًا، وذلك لأن عطاء اللَّه وفضله وإحسانه، لا يُقارن بعطاء المخلوقين.

وانظر ما قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا دعا أحدكم فلا يقل اللَّهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم المسألة، وليعظم الرغبة؛ فإن اللَّه لا يتعاظمه شيء أعطاه» [أخرجه مسلم ٢٦٧٩].

وكذلك قوله ﷺ: «إذا سأل أحدكم فليكثر فإنما يسأل ربه» [رواه ابن حبان وصححه الألباني].

وتأمل كيف فهم السلف الصالح هذا المعنى، فكان أحدهم يتمنّى على اللَّه ما يشاء، ويسأل اللَّه كل ما

يريد، ويدعو اللَّه في كلِّ ما يرجو، فهذا عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «إنَّ لي نفسًا توَّاقة، وما حقَّقت شيئًا إلا تاقَتْ لما هو أعلى منه؛ تاقت نفسي إلى الزواج من ابنة عمي فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها، ثم تاقت نفسي إلى الإمارة فَوُلِّيتُها، وتاقت نفسي إلى الخلافة فَنِلْتُها، والآن تاقت نفسي إلى الجنة، فأرجو أن أكون من أهلها».

والمقصود: أن اللَّه لا يَعْظُم عليه إعطاء شيء، بل كل شيء عليه يسير، وهو على كل شيء قدير، ويكفيك قول اللَّه -عز وجل-: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠].

٨- أَلِحَّ في دعائك وكرِّره

ثبت عن النبي ﷺ استحباب تكرار الدعاء ثلاثًا، وذلك في حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «كان إذا دعا؛ دعا ثلاثًا، وإذا سأل؛ سأل ثلاثًا» [أخرجه مسلم ١٧٩٤].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كان رسول اللَّه ﷺ يعجبه أن يدعو ثلاثًا، ويستغفر ثلاثًا» [أخرجه أحمد في المسند ١/ ٣٩٧، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند٥/ ٢٩٠].

قال النووي رحمه الله: «فيه استحباب تكرار الدعاء ثلاثًا» [شرح صحيح مسلم١٢/ ١٥٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «تكرار الدعاء أمرٌ مطلوب، كلما كرَّر الإنسان الدعاء كان ذلك أفضل، وقد كان مِن هدي النبي - صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم - أنه إذا دعا؛ دعا ثلاثًا، هذا في غالب الأحيان، وعلى هذا فتكرار الدعاء لا بأسَ به؛ لأن الدعاء عبادة للَّه -عز وجل- ولابدَّ فيه من خير» [نور على الدرب: متفرقات/ الدعاء].

فالغالب من هديه ﷺ أنه كان يُكرِّر الدعاء ثلاث مرات، وإن كان قد ثبت عنه أنه دعا مرَّةً خمس مرات، وذلك حين دعا بالبركة لقبيلة أحمس، كما في حديث جرير بن عبد اللَّه رضي الله عنه قال: «برَّكَ النَّبيُّ ﷺ على خيل أَحْمَسَ ورجالها خَمْسَ مرَّاتٍ» [أخرجه البخاري: ٤٣٥٧، ومسلم: ٢٤٧٦].

وكذلك ورد تكرار الدعاء سبع مرات في أكثر من حديث، منها ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ما استجار عبدٌ من النَّار سبع مرَّاتٍ في يومٍ إلا قالت النَّار: يا ربِّ ! إنّ عبدك فلانًا قد استجارَك منِّي فأَجِرْه. ولا يسأل اللَّهَ عبدٌ الجنَّة في يوم سبع مرّاتٍ إلا قالت الجنّة: يا ربّ ! إنّ عبدك فلانًا سألني فأدخله» [أخرجه أبو يعلى في المسند ١١/ ٥٤، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٥٠٦].

وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَن عاد مريضًا لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرارٍ: أسأل اللَّه العظيم ربَّ العرش العظيم أن يشفيك. إلّا عافاه اللَّه من ذلك المرض» [أخرجه أبو داود ٣١٠٦، وصححه الألباني في صحيح أبي داود].

فالحاصل: أن السُّنة في تكرار الدعاء أن يكون ثلاث مرات، ومَن زاد على ذلك أحيانًا فلا حَرَج عليه، كما أن مَن اقتصر على الدعاء مرة واحدة لا حَرَج عليه، وقد ثبت عن النبي ﷺ جميع ذلك.

وعن سفيان بن عيينة، قال: مرَّ محمَّد بن عليٍّ بمحمَّد بن المنكدر، فقال: ما لي أراك مغمومًا؟ فقال أبو حازم: ذاك لِدَيْنٍ قد فدَحَه (أي: صَعُبَ عليه سداده)، قال محمَّد بن عليٍّ: أَفُتِحَ له في الدّعاء؟ قال: نعم، فقال: لقد بُورِكَ لعبدٍ في حاجةٍ أكثر فيها دعاء ربّه، كائنةً ما كانت». (يقصد: سواءً قُضِيَتْ حاجته أم لم تُقْضَ، فيكفيه البركة الحاصلة له مِن كثرةِ دعائه) [الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا].

٩- إياك وطلب مالا ينبغي:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «الاعتداء في الدّعاء يكون تارةً بأن يَسأل ما لا يجوز له سؤاله من المعونة على المحرَّمات، وتارةً بأن يَسأل ما لا يفعله اللَّه؛ كأن يسأل تخليده إلى يوم القيامة، أو بأن يرفع عنه منازل البشريَّة من الحاجة إلى الطّعام والشّراب، ونحو ذلك ممّا فيه اعتداء لا يحبّه اللَّه، ولا يحب سائله».

* * * * *

١٠- اختم بالصلاة على النبي ﷺ

يقول أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «مَن أراد أن يسأل اللَّه حاجةً فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ ثمَّ يسأله حاجته، ثمَّ يختم بالصلاة على النبي ﷺ، فإنّ اللَّه -عزّ وجل- يقبل الصلاتين، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما».

* * * * *

٧

سر الإجابة الأعظم

قيل للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كم بيننا وبين عرش الرحمن؟ قال: دعوة صادقة».

في سورة الأنبياء، ذكر اللّه -تعالى- دعوات الأنبياء، -عليهم الصلاة والسلام- وذكر فضله عليهم أن أجاب لكل واحد منهم دعوته ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣- ٨٤].

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٨٧- ٩٠].

ثم ذكر سِرّ إجابة الدعاء، فقال -سبحانه-: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فمن أراد إجابة دعائه؛ فعليه بالعمل الصالح، وأن يدعو بصدق؛ رجاءً وخوفًا، ولا يرجو أحدًا إلا اللّه -تعالى-.

وهذه بعض الآثار عن السلف الصالح حول هذا المعنى:

١- عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «إني لا أحمل همَّ الإجابة، ولكن همَّ الدعاء، فإذا أُلْهِمْتُ الدعاء؛ فإن الإجابة معه» [ذكره في اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٠٦].

فينبغي للعبد أن يهتم بما أمر اللَّه به (الدعاء)؛ كيف يحمد اللَّه، كيف يُثْنِي عليه، كيف يُظْهِر تَذَلُّلَهُ للَّه -تعالى-، وحاجته، وفقره إلى مولاه، ويحسن الظن فيما وعد اللَّه به من الإجابة.

٢- وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «بالورع عما حرَّم اللَّه؛ يقبل اللَّه الدعاء والتسبيح» [جامع العلوم والحكم ١/ ٢٧٦].

٣- عن محمد بن واسع قال: «يكفي من الدعاء مع الورع اليسير، كما يكفي القِدْر مِن المِلْح» [شُعَب الإيمان ٢/ ٥٣- ٥٤].

٤- عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «يكفي من الدعاء مع البِر، كما يكفي الطعام من المِلْح» [أخرجه ابن أبي شيبة ٧/ ٤٠].

٥- وعن الحسن في قوله -عز وجل-: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، قال: «اعملوا وأبشروا، فإنه حَقٌّ على اللَّه -عز وجل- أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات، ويزيدهم من فضله» [أخرجه الطبري في تفسيره ٢/ ٩٤، والطبراني في الدعاء: ٩].

- يقصد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول اللَّه -سبحانه-: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٦].

٦- عن وهب بن منبه قال: «مثل الذي يدعو بغير عمل، مثل الذي يرمي بغير وَتَر» [أخرجه ابن أبي شيبة ٧/ ٣٩، والبيهقي في شُعَب الإيمان ٢/ ٣٥].

٧- وعنه قال: «مَن سرَّه أن يستجيب اللَّه دعوته، فَلْيُطِبْ طُعْمَتَهُ» [جامع العلوم والحكم ١/ ٢٧٥].

وذلك لأن أكل الحلال من أوجب الواجبات، ومن أهم الأعمال، فمن ضيَّعه؛ ردَّ اللَّه دعاءه، ومن حقَّقه؛ أجاب اللَّه دعاءه.

٨- عن عبد اللَّه بن مسعود قال: «إن اللَّه لا يقبل إلا النَّاخِلَةَ مِنَ الدعاء، إنَّ اللَّه -تعالى- لا يقبل مِن مُسَمِّع، ولا مُرَاءٍ، ولا لَاعِبٍ، ولا لَاهٍ، إلا مَن دَعَا ثَبْتَ ٱلْقَلْبِ» [شعب الإيمان ٢/ ٥٠- ٥١].

٩- عن حذيفة قال: «ليأتينَّ على الناس زمانٌ لا ينجو فيه، إلا مَن دعا بدعاءٍ كدعاءِ الغريق» [أخرجه ابن أبي شيبة ٧/ ٢٤، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٤٠].

١٠- قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واللَّه لو يئستَ مِن الخلق حتى لا تريد منهم شيئًا، لأعطاك مولاك كلّ ما تريد» [جامع العلوم والحكم].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الفَرَج يأتي عند انقطاع الرجاء من الخلق» [مجموع الفتاوى].

١١- وعن طاووس قال: «يكفي الصدق من الدعاء، كما يكفي الطعام من المِلْح» [شُعب الإيمان ٢/ ٥٤].

١٢- عن عبد الواحد بن زيد قال: «الإجابة مقرونة بالإخلاص، لا فُرْقَة بينهما» [حلية الأولياء: ٦/ ١٦٢].

* * * * *

الحاصل: أنك إذا تأملت هذه الآثار عن الصحابة والتابعين وجدت أنها تدور حول أمرين:

الأول: عمل القلب متمثلاً في (الإخلاص والصدق)، فلو لم يكن العبد مُخْلِصًا في عمله، صادقًا في دعائه، لا يَستجيب اللَّه له.

الثاني: عمل الجوارح متمثلًا في (العمل الصالح)؛ فإذا كان العبد غافلًا عن عبادة اللَّه، مُضَيِّعًا للواجبات، مُنْشَغِلًا بدنياه عن دينه، فبأيِّ وَجْهٍ يَسأل ربه؟!

* * * * *

٨

الحكمة من تأخير الإجابة

«ندعو اللَّه فيما نحبُّ، فإذا وقَع الذي نَكْرَهُ، لم نخالفْ اللَّه -عز وجل- فيما أحبَّ» [محمد بن علي - حلية الأولياء ٣/ ١٨٧].

«لا يكن تأخُّر العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبًا ليأسك، فهو ضَمِنَ لك الإجابة فيما يختاره لك لا فيما تختاره لنفسك» [ابن عطاء اللَّه السكندري].

لا شكَّ أنَّ حكمة اللَّه بالغة، وأنَّ اللَّه بكل شيء عليم، وأنه -سبحانه- أحكم الحاكمين، ولاشك أن رحمته وَسِعَتْ كل شيء، وأنه واسِع الفضل وهو ذو الفضل العظيم، وأنه يحب الدعاء ويغيث المستغيثين، ويرفع البلاء، ويجيب دعوة المضطرين، ويُغني المحتاجين، وينصر المظلومين ويعطي السائلين بغير حساب، وإذا منع فبحكمته ورحمته، وإذا أعطى وتفضل فبحكمته ورحمته أيضًا.

ومن مظاهر حكمته -سبحانه- في تأخير إجابة الدعاء ما يلي:

الأول

قد ثبت بالبرهان أن اللَّه -عز وجل- مالِكٌ، وللمالك التصرُّف بالمنع والعطاء، فلا وَجْهَ للاعتراض عليه.

والثاني

أنه قد ثبتت حكمته بالأدلة القاطعة، فربما رأيت الشيء مصلحة، والحكمة لا تقتضيه، وقد يخفى وجه الحكمة فيما يفعله الطبيب من أشياء تُؤذي في الظاهر، يُقصَد بها المصلحة، فلعل هذا من ذاك.

والثالث

أنه قد يكون التأخير مصلحة، والاستعجال مَضرَّة، وقد قال النبي ﷺ: «يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل؛ يقول: دعوتُ فلم يُستجب لي، فيدع الدعاء» [صحيح الأدب المفرد ٦٥٤].

والرابع

أنه قد يكون امتناع الإجابة لآفةٍ فيك، فربما يكون في مأكولك شبهة، أو قلبك وقت الدعاء في غفلة، أو بسبب ذنبٍ لم تصدق في توبتك منه، فيكون منع الإجابة قد أعطاك فرصة لمحاسبة نفسك، وتصحيح علاقتك بربك .

والخامس

أنه ربما فتح لك تأخير الإجابة بابًا عظيمًا لاستشعار لذة الدعاء وحلاوة المناجاة، من كثرة الإلحاح في الطلب، حتى لربما شغلتك هذه اللذة عن دعائك، مثل ما قال أحد السلف: «إنه ليكون لي إلى اللَّه حاجة فأدعوه، فيفْتَح لي من لذيذ معرفته وحلاوة مناجاته ما لا أحبُّ معه أن يُعجِّل قضاء حاجتي؛ خشيةَ أن تنصرف نفسي عن ذلك؛ لأن النفس لا تُريد إلَّا حظّها فإذا قُضيَ انْصَرَفَتْ» [مجموع الفتاوى ٢٢ / ٢٢٦].

فلا تَسْتَطِل مدة الإجابة، وكن ناظرًا إلى أنه المالك، وإلى أنه الحكيم في التدبير، والعالم بالمصالح، وإلى أنه يريد اختبارك، ليبلو أسرارك، وإلى أنه يريد أن يرى تضرُّعك، وإلى أنه يريد أن يأجرك بصبرك.. إلى غير ذلك، وإلى أنه يبتليك بالتأخير، لتحارب وسوسة إبليس، وكل واحدة من هذه الأشياء تُقَوِّي الظن في فضله، وتُوجِب الشكر له -سبحانه-.

فاللَّهم لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

٩

أفضل الدعـاء

قال - تعالى -: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِرَجُلٍ: «كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟ قَالَ: أَتَشَهَّدُ ثُمَّ أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، أَمَا إِنِّي لَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ» [رواه أبو داود وصححه الألباني].

لا شك أن أفضل الدعاء ما اختاره اللَّه -تعالى- وذَكَره في كتابه على ألسنة أنبيائه وأوليائه، ففي هذه الأدعية النفع الكبير والبركة العظيمة التي لا يحيط بها قلبٌ، ولا يتصورها عقلٌ، ولا يُعبِّر عنها لسانٌ، ولذلك اشتد نكير العلماء على مَن ترك هذه الدعوات المباركات، ولم يهتم بها كما ينبغي، وتكلَّف دعوات غيرها، واللَّه المستعان.

* قال الإمام أبو بكر بن الوليد الطرطوشي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومِن العجب العجاب أن تعرض عن الدّعوات الّتي ذكرها اللَّه -تعالى- في كتابه عن الأنبياء والأولياء والأصفياء مقرونةً بالإجابة، ثمّ تَنتقي ألفاظ الشّعراء والكتاب، كأنّك قد دعوتَ في زعمك بجميع دعواتهم، ثمَّ استعنت بدعوات من سواهم» [الدعاء المأثور وآدابه للطرطوشي].

* وقال القاضي عياض: «أذن اللَّه في دعائه، وعلَّم الدعاء في كتابه لخليفته، وعلَّم النبيُّ ﷺ الدعاء لأُمَّته، واجتمعت فيه ثلاثة أشياء: العلم بالتوحيد، والعلم باللغة، والنصيحة للأمة، فلا ينبغي لأحدٍ أن يعدل عن دعاء القرآن، وعن دعاء النبي ﷺ» [الفتوحات الربانية لابن علان ١/ ١٧].

ومَن تأمَّل أدعية القرآن الكريم والسنة المطهرة، وجد أنها تدور حول سعادة وفلاح العبد في الدنيا وفي الآخرة.

ولا تكون السعادة والفلاح في الدنيا إلا في طاعة اللَّه.

ولا تكون السعادة في الآخرة إلا بالنجاة من النار ودخول الجنة.

وإليك أخي القارئ، بعض هذه الأدعية المباركة:

١- سيد الاستغفار

قال رسول اللَّه ﷺ: «سيِّد الاستغفار أن تقول: اللَّهمَّ أنت ربِّي لا إله إلّا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرِّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنَّه لا يغفر الذُّنوب إلَّا أنت»، قال: «ومن قالها من النَّهار موقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يُمْسِي، فهو من أهل الجنَّة، ومن قالها من اللّيل وهو موقنٌ بها، فمات قبل أن يُصبِح، فهو من أهل الجنَّة» [أخرجه البخاري ٥٩٤٧].

قال الطيبي: «لما كان هذا الدّعاء جامعًا لمعاني التَّوبة كلها استُعِيرَ له هذا الاسم (سيد الاستغفار)، ولا شكَّ أن سيد القوم أفضلهم، وهذا الدّعاء أيضًا سيد الأدعية، وهو الاستغفار».

وقال الكرماني: «في هذا الدعاء ذِكْرُ اللَّه بأكمل الأوصاف، وذِكْرُ العبد نفسه بأنقص الحالات، وهو أقصى غاية التضرُّع» [ذخيرة العقبى شرح المجتبى].

وكيف لا يكون هذا الدعاء سيد الأدعية، وقد وعد اللَّه الجنة لمن قاله صادقًا مِن قلبه، مصدِّقًا لثوابه.

٢- الدعاء لجميع المسلمين والمسلمات

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما رأيت من النبي ﷺ طيِّب النفس، قلت: يا رسول اللَّه ادع اللَّه لي. قال: اللَّهم اغفر لعائشة ما تقدَّم من ذنبها وما تأخر، وما أسرَّت وما أعلنت. فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجر رسول اللَّه ﷺ من الضحك، فقال: أيسرُّك دعائي؟ فقالت: وما لي لا يسرُّني دعاؤك؟ فقال: واللَّه إنها لدعوتي لأمتي في كل صلاة» [أخرجه البزار في مسنده: ٢٦٥٨، الصحيحة ٥/ ٣٢٤].

لم يكتفِ النبي ﷺ بالدعاء لأُمَّته فقط، بل نبَّه عليه جميعَ أفراد الأمة، ورغَّبَهم فيه، فقال: «مَن استغفرَ للمؤمنين وللمؤمنات كتَبَ اللَّه له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة» [أخرجه الطبراني في مسند الشاميين، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٦٠٢٦].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «ما مِن دعاءٍ، أحبَّ إلى اللَّه - تعالى- من قول العبد: اللَّهم اغفر لأمة محمد وارحمهم رحمة عامة» [نزهة المجالس ومنتخب النفائس للصفوري].

٣- جوامع الدعاء

إن النبي ﷺ قد أوتي جوامع الكلم، وكان جوامع الدعاء أحب إليه، وجوامع الدعاء: هي كلمات يسيرة تحوي معانيَ كثيرة، تغنيك عن الإسهاب والإطالة .

ومن جوامع الدعاء، ما جاء عن أبي مالك الأشجعي، عن أبيه، أنه سمع النبي ﷺ وأتاه رجلٌ فقال: يا رسول اللَّه كيف أقولُ حين أسألُ ربي؟ قال: «قل اللَّهم اغفر لي وارحمني، وعافني وارزقني -يجمع أصابعه إلا الإبهام -؛ فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك» [أخرجه مسلم ٨/ ٧١] .

ومن جوامع الدعاء، ما جاء عن أنس رضي الله عنه أنَّ أكثر دعوةٍ كان يدعو بها النبي ﷺ: «اللَّهمّ آتنا في الدّنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النّار»، وكان أنسٌ إذا أراد أن يدعو بدعاءٍ دعا بها فيه. [أخرجه البخاري ٦/ ٢٨، ومسلم ٤/ ٢٠٧٠].

٤- الدعاء بالعافية

عن هلال بن يساف، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنّ في الجمعة لساعةً لا يوافقها رجلٌ مسلمٌ يسأل اللَّه فيها شيئًا إلّا أعطاه»، فقال رجلٌ: يا رسول اللَّه ماذا أسأله؟، قال: «سل اللَّه العافية في الدّنيا والآخرة» [مصنف ابن أبي شيبة ٦/ ٢٤].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ ابن آدم لم يُعْطَ شيئًا أفضل من العافية، فاسألوا اللَّه العافية» [مسند أحمد ١/ ٢٢٨].

وأتى النَّبيَّ ﷺ رجلٌ فقال: يا رسول اللَّه، أيُّ الدّعاء أفضل؟ قال: «سل اللَّه العفو والعافية في الدّنيا والآخرة»، ثمَّ أتاه الغد فقال: يا نبيَّ اللَّه، أيُّ الدّعاء أفضل؟ قال: «سل اللَّه العفو والعافية في الدّنيا والآخرة، فإذا أُعطيت العافية في الدّنيا والآخرة فقد أفلحت» [صحيح الأدب المفرد: ٢٢٢].

٥- الحمد لله

قال النبي ﷺ: «أفضل الدعاء: الحمد للَّه» [أخرجه الحاكم وصححه]؛ فسمَّى الحمد للَّه دعاءً، وهو ثناءٌ مَحْضٌ؛ لأن الحمد يتضمن الحب والثناء، والحب أعلى أنواع الطلب للمحبوب، فالحامد طالبٌ لمحبوبه، فهو أحقُّ أن يُسَمَّى داعيًا من السائل الطالب من ربه حاجةً ما، كما قال أمية بن أبي الصلت:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني
حياؤك إنَّ شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يومًا
كفَاه مِن تعرُّضه الثناء

وعلى هذا، فالحمد والثناء نفسه متضمِّن لأعظم الطلب، وهو طلب المُحِبّ، فهو دعاء على الحقيقة، بل أحقُّ أن يُسَمَّى دعاءً من غيره، من أنواع الطلب الذي هو دونه، والمقصود أن كل واحد من الدعاء والحمد يتضمن الآخر ويدخل فيه.

وقد علَّم النبي ﷺ أحبَّ الناس إليه أبا بكر الصديق

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل المحامد، لما قال له: «**إذا أويت إلى فراشك فقل:**

الحمد للَّه الذي كفاني وآواني.

الحمد للَّه الذي أطعمني وسقاني.

الحمد للَّه الذي مَنَّ عليَّ وأفضلَ، اللَّهم، إنِّي أسألك بعزَّتك أنْ تُنَجِّيَني من النَّار؛ فإن قلت ذلك، فقدْ حَمدت اللَّه بجميع محامدِ الخلقِ كلِّهم» [أخرجه الحاكم ١/ ٥٤٥ -٥٤٦، وابن السني في عمل اليوم والليلة، السلسلة الصحيحة ٧/ ١٣١٧].

- لما كان هذا الحمد يشمل نِعَم الدنيا، فسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه أن يُتِمَّ هذه النِّعَم عليه في الآخرة، وتمام النعمة وأفضلها على الإطلاق: النجاة من النار، ومن ثَمَّ دخول الجنة.

٦- أجمع وأشمل دعاء في السنة النبوية على الإطلاق

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ النَّبيُّ ﷺ وأنا أُصَلِّي -وله حاجةٌ، فأبطأتُ عليه- قال: «يا عائشة عليك بجُمَل الدُّعَاء، وجوامعه». فلمَّا انصرفت، قلت: يا رسول اللَّه وما جُمَل الدُّعاء وجوامعه؟ قال: «قولي: اللَّهمّ إنّي أسألك من الخير كلّه، عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم. وأعوذ بك من الشَّرِّ كلِّه عاجله وآجله، ما علمت وما لم أعلم. وأسألك الجنَّة وما قرَّب إليها من قولٍ أو عملٍ، وأعوذ بك من النَّار وما قرَّب إليها من قولٍ أو عملٍ، وأسألك ممَّا سألك به محمَّدٌ ﷺ وأعوذ بك ممّا تعوَّذ منه محمّدٌ ﷺ وما قضيت لي من قضاءٍ فاجعل عاقبته رشدًا»

[صحيح الأدب المفرد: ٢٢٢، مشكاة المصابيح ٢/ ٦٩٤].

الحاصل: أن كلّ دعاء ورَد في القرآن الكريم هو أفضل من غيره، وكلّ دعاءٍ دعا به النبي ﷺ وأكثَر منه، وداوَم عليه، كالأدعية التي تُقال بعد التشهُّد الأخير في الصلاة، وكالتي تُقال في الصباح والمساء؛ هو أوْلَى من غيره.

فائدة مهمة:

كل دعاء خرج من القلب دون تكلُّف، وجرى اللسان به، فهو أقربُ للإجابة، وهو أفضل الدعاء؛ لأنه مما ألهمه اللَّه للعبد، وإن لم يكن في القرآن والسنة، وإن كانت دعوة واحدة، فقد يحصل العبد بها على مراده، فهذا نبيُّ اللَّه موسى عليه السلام قتل نفسًا خطأ، أتعي ما أقول؟! قتل نفسًا! فماذا فعل؟ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦]؛ قال اللَّه: ﴿فَغَفَرَ لَهُ﴾ تخيل.. اغفر لي فقط، مع ما قام في قلبه من الندم وصدق التوبة، لم يحتج لأكثر من ﴿اغْفِرْ لِي﴾؛ فغفر له ذنب قتل نفس.

قال ابن تيمية رحمه الله: «الأعمال لا تتفاضل بالكثرة، وإنما تتفاضل بما يحصل في القلوب حالَ العمل» [مجموع الفتاوى ٢٥ / ٢٨٢].

فأحضر قلبك، وثِقْ بربك، واعلم أن اليد التي تُرفَع إلى السماء لا تنزل فارغة أبدًا.

١٠

هؤلاء شفعاء دعائك عند ربك

قال -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

لا شك أن الأعمال الصالحة -بشكل عام- إذا عملها العبد بإخلاص، لَهِيَ مِن أعظم أسباب الإجابة، مثل سؤال الثّلاثة الّذين أووا إلى غارٍ، فسأل كلٌّ واحدٍ منهم بعملٍ عظيمٍ أخلَص فيه للَّه؛ لأنَّ ذلك العمل ممَّا يحبّه اللَّه ويرضاه محبَّةً تقتضي إجابة صاحبه: هذا سأل ببرِّه لوالديه، وهذا سأل بعفَّتِه التَّامَّة، وهذا سأل بأمانته وإحسانه.

وهذا ابن مسعودٍ يقول وقت السَّحَر: «اللَّهمَّ أمرتني فأطعتك، ودعوتني فأجبتك، وهذا سَحَرٌ فاغفر لي».

فهذه بعض الأعمال الصالحة التي دلَّنا عليها النبي ﷺ هي خيرُ ما تقدِّمه بين يدي دعائك، وهي خير شفيع، وخير وسيلة لك عند ربك، وأنت تدعوه.

١- القرآن الكريم

قال رسول اللَّه ﷺ: «مَن قرَأ القرآن فليسأل اللَّهَ به؛ فإنَّه سيجيء أقوامٌ يقرءون القرآن يسألون به الناسَ» [أخرجه أحمد ٤/ ٤٣٢، والترمذي ٤/ ٥٥، الصحيحة ١/ ٥١٧].

وهذه قصةٌ عجيبة لابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمَّا كان يصلي ويقرأ القرآن بصوته الجميل، يرويها لنا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث يقول: «كنت مع النَّبيِّ ﷺ ومعه أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومَن شاء اللَّه مِن أصحابه، فمررنا بعبد اللَّه بن مسعودٍ وهو يصلّي، فقال النبيّ ﷺ: «مَن هذا؟» فقيل: عبد اللَّه بن مسعودٍ، فقال: «إنّ عبد اللَّه يقرأ القرآن غضًّا كما أُنْزِلَ»، فأثنى عبداللَّه على ربّه وحمده، فأحسن في حمده على ربّه، ثمَّ سأله فأجمل المسألة، وسأله كأحسن مسألةٍ سألها عبدٌ ربَّه، ثمّ قال: اللَّهمّ إنّي أسألك إيمانًا لا يرتدُّ، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة محمَّدٍ ﷺ في أعلى علِّيِّين في جنانك جنان الخلد، قال: وكان رسول اللَّه ﷺ يقول: «سَلْ تُعْطَ، سَلْ تُعْطَ» مرّتين، فانطلقت لأبشِّرَه، فوجدت أبا بكرٍ قد سبَقني، وكان سبّاقًا بالخير» [أخرجه الحاكم ٣/ ٣٥٨ وقال: حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يخرّجاه، ووافقه الذهبي].

٢- سبحان اللَّه، والحمد للَّه، ولا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر

قال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ مما تَذْكُرون مِن جلال اللَّه: التسبيح والتهليل والتحميد، ينعطفن حول العرش، لهن دَوِيٌّ كدَوِيِّ النحل، تُذَكِّر بصاحبها، أمَا يحب أحدكم أن يكون له- أو لا يزال له- مَن يُذَكِّر به» [أخرجه أحمد٤/ ٢٧١، وابن ماجه ٣٨٠٩، الصحيحة ٧/ ١٠٧٦].

٣- أن تسأل اللَّه بسابق فضله عليك

أيْ بما أنعَمَ عليك بنِعَمه في الدنيا، فإن الكريم لا يَقطع عادته، وإن تبدَّل المُنْعَم عليه، أو بما أنعم عليك مِن نِعَم الآخرة، كعملٍ صالحٍ وفَّقك إليه، مثل قصة (أصحاب الغار).

ومما جاء في الأثر: أنّ حاتم الجواد لقيه رجلٌ فسأله، فقال له حاتمٌ: من أنت؟ قال: أنا الّذي أحسنت إليه عام أوّلٍ، فقال: مرحبًا بمن تشفّع إلينا بنا. [القرطبي].

وهذا كلامٌ بديع لابن القيم، حول دعاء القنوت «اللَّهمّ اهدني فيمن هديت» حيث يقول: «أنّه توسّلٌ إلى اللَّه بنِعَمه وإحسانه إلى مَن أنعم عليه بالهداية، أيْ: قد أنعمت بالهداية على مَن هديت، وكان ذلك نعمةً منك، فاجعل لي نصيبًا من هذه النِّعْمة، واجعلني واحدًا مِن هؤلاء المُنْعَم عليهم، فهو توسّلٌ إلى اللَّه بإحسانه. [مدارج السالكين].

٤- حبّك للّه ولرسوله ولأوليائه وللصالحين

وإن كنت مقصرًا أو مذنبًا . . . إلخ. فهذا من أعظم ما تَستشفع به عند ربك، فكلُّ بني آدم خطَّاء، وقد تغلبنا أنفسنا، ونتعثر، ونَتبع أهواءنا ونَعصي، لكن مع ذلك تبقى محبة اللّه، ورسوله، والصالحين ثابتة وراسخة في قلوبنا، وقد قالت إحداهن وهي تدعو: «أسألك بحبك إيَّايَ، فقال سيدها: قولي أسألك بحبِّي لك، قالت: حبُّه إيَّاي أقامني مِن نومتي للوقوف بين يديه ومناجاته، وأقعدك».

تنبيه مهم:

ينبغي للعبد أن يلاحظ في ذلك فِعْل اللّه، وإحسانه إلى العبد، وليس فعل العبد نفسه؛ لئلا يُزكِّي نفسه، ولا يدخل إلى قلبه العُجْب.

- وعن عمر بن الخطّاب: أنَّ رجلًا على عهد النّبيّ ﷺ كان اسمه عبد اللّه، وكان يُلَقَّب حمارًا، وكان يُضْحِك رسولَ اللّه ﷺ وكان النّبيّ ﷺ قد جلَده في الشَّراب، فأُتِيَ به يومًا فأَمَرَ به فجُلِدَ، فقال رجلٌ من

القوم: اللَّهمَّ العنه، ما أكثر ما يُؤْتَى به. فقال النبيّ ﷺ: «لا تلعنوه، فواللَّه ما علمت إنّه يحبّ اللَّه ورسوله» [أخرجه البخاري ٦٧٨٠].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ومن فوائد هذا الحديث: أنْ لا تنافيَ بين ارتكاب النَّهْي، وثبوت محبَّة اللَّه ورسوله في قلب المرتكب؛ لأنَّه ﷺ أخبر بأنّ المذكور يحبّ اللَّه ورسوله، مع وجود ما صدَر منه. وأنَّ مَن تكرَّرت منه المعصية، لا تُنْزَع منه محبَّة اللَّه ورسوله» [فتح الباري١٢/ ٧٨].

- وقال ابن تيمية: «ومن المعلوم أن كلَّ مؤمنٍ فلا بد أن يحبَّ اللَّهَ ورسولَه» [منهاج السنة النبوية ٤/ ٥٧٠].

ولكنَّ هذا الإيمانَ إيمانٌ ناقصٌ بما أتَى به مِن المعاصي، وهذه المحبة ـ مِن ثمَّ ـ محبةٌ ناقصةٌ، ولو كمُل إيمانه ومحبته للَّه، لكان مطيعًا لربِّه، ونهى نفسه عن هواها، فكما أن المحبَّة الواجبة تستلزم لفعل الواجبات، فكمال المحبَّة المستحبة تستلزم لكمال فعل المستحبات، والمعاصي تُنْقِص المحبَّة.

فسبحان ربي العظيم، الذي وَسِعَت رحمته العاصين والمسرفين، وشمل فضله المذنبين والغافلين، والناس أجمعين.

فيا أخي: إذا ابتُلِيتَ بشيء من هذه المعاصي، وابتُلِيت بضائقةٍ، أو أحاط بك كَرْبٌ، أو أصابك ضُرّ، أو فَدَحَك دَيْنٌ، وضاقت عليك نفسك؛ فلا تيأس أبدًا، فإنَّ لك عند اللَّه رصيدًا كبيرًا عظيمًا؛ إنك تحب اللَّه ورسوله، فقدِّم أخي هذه المحبة، واجعلها وسيلتك، وشفيعك عند ربك، واسأله العافية، والفَرَج، والتيسير، فهو على كل شيء قدير.

* * * * *

١١

الوصايا الذهبية

قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١- ٣].

وسُئِلَ ابنُ المبارك: «أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: النُّصح للّه».

لو قُدِّمَتْ لك نصيحةٌ مِن شخص تعلم صِدْق محبته لك، وشفقته وخوفه عليك، مِن شخص تثق في حكمته، وفي علمه، مِن شخص تُوقِن أنه لا يريد لك إلا الخير؛ لا شكَّ أنك تَقبل نصيحته، وتَعتني بها، وتَحرص على العمل بما فيها، فكيف إذا كانت النصيحة من أفضل خلق اللَّه، وممن هم أعلم الناس باللَّه، وممن اصطفاهم اللَّه، ممن هم أطهر الناس قلوبًا، وأعمقهم علمًا، وأصدقهم نصحًا، وهم رسول اللَّه ﷺ والصحابة والتابعين، أفلا تكون نصائحهم ووصاياهم أَوْلَى بالقبول والعناية والاهتمام؟

لذلك جَمَعْتُ هذه النصائح والوصايا، فخذها بقوةٍ وكنْ من الشاكرين؛ عسى اللَّه أن ينفعني وإياك بها.. إنه سميع قريب مجيب.

١- لا تترك الدعاء حال العافية:

فعن سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «لا تتركوا الدعاء، ولا يمنعكم منه ما تعلمون من أنفسكم، فقد استجاب اللَّه لإبليس وهو شر الخلق، قال: ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤- ١٥].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «مَن سرَّه أن يستجيب اللَّه له عند الشّدائد والكرب فليكثر الدّعاء في الرّخاء» [الترمذي: ٣٣٨٢ وحسنه الألباني].

وعن أبي الدرداء قال: «ادع اللَّه في يوم سرائك، لعله يستجيب لك في يوم ضرائك» [أخرجه أحمد في الزهد ص: ١٣٥].

وقال علي بن الحسين (زين العابدين): «لم أرَ للعبد مثل التقدُّم في الدعاء، فإنه ليس كلما نزلت بلية؛ يُستجاب له عندها». وكان علي بن الحسين إذا خاف شيئًا؛ اجتهد في الدعاء.

وعن سلمان قال: «إذا كان الرّجل دعّاءً في السَّرَّاء ثمَّ نزلت به ضرَّاء فدعا قالت الملائكة: صوتٌ معروفٌ استغفروا له، وإذا كان الرّجل ليس بدعّاءٍ في السّرّاء فنزلت به ضرّاء فدعا قالت الملائكة: صوتٌ ليس بمعروفٍ ولا يشفعون له» [الزهد لابن حنبل والبيهقي في شعب الإيمان ١١٤٠].

٢- أكثر من الدعاء في كل وقت وفي كل حال:

فعن الحسن أن أبا الدرداء كان يقول: «جدُّوا بالدعاء، فإنه مَن يُكْثِرُ قَرْعَ الباب يوشك أن يُفْتَحَ له» [أخرجه ابن أبي شيبة ٧/ ٢٤].

وعن محمد بن حامد قال: قلت لأبي بكر الوراق: علِّمْني شيئًا يُقَرِّبني إلى اللَّه -تعالى- ويقربني من الناس، فقال: «أما الذي يُقَرِّبك إلى اللَّه فمسألته، وأما الذي يُقَرِّبُك من الناس فترك مسألتهم» [شعب الإيمان ٢/ ٣٥].

وعن الأوزاعي قال: «أفضل الدعاء الإلحاح على اللَّه -عز وجل-، والتضرع إليه» [شعب الإيمان ٢/ ٣٨].

وعن السري السقطي قال: «كن مثل الصبي، إذا اشتهى على أبويه شهوةً فلم يُمَكِّنَاه، فقعد يبكي عليها، فكن أنت مثله، فإذا سألت ربك فلم يعطكه، فاقعد فابك عليه» [شعب الإيمان ٢/ ٥٣].

٣- اجعل في يومك دومًا، غير أدعيتك الكثيرة، دعاءً لا تزد فيه عن مسألة واحدة أو طلب واحد أو رغبة واحدة:

فإنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «إن اللَّه حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرًا خائبتين» [أخرجه الترمذي ٣٥٥٦ وصححه الألباني].

مثلًا: تختلي بنفسك، وترفع يديك، تحمد ربك، وتثني عليه، وتصلي على نبيك ﷺ، ثم تسأل اللَّه شيئًا واحدًا فقط، ولا تزد عليه، ثم تُنزل يديك، وأبشر بالإجابة .

فكن ذكيًا فَطِنًا، واغتنم هذه الفرصة العظيمة.

٤- إذا غَفَل قلبُك عن الدعاء، وفَتَر لسانك عنه، وأردتَ أن يَفتح اللَّه لك في الدعاء:

قال ﷺ: من أراد أن يُفتح له من الدعاء؛ فليقل: «اللَّهم أَعِنِّي على ذِكْرِك وشكرك وحُسن عبادتك» [أخرجه أبو داود وصححه الألباني].

٥- سل اللَّه الجنة دائمًا:

عن خيثمة قال: «إذا طلبتَ شيئًا فوجدته، فسَل اللَّه الجنة؛ فلعله يكون يومك الذي يُستجاب لك فيه» [حلية الأولياء٤/ ١١٩].

٦- ادعُ لوالديك كل صلاة:

قال سفيان بن عيينة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]: «من صلى الصلوات الخمس فقد شكر للَّه، ومن دعا لوالديه بعدها، فقد شكر له» [تفسير القرطبي - فتح الباري]

وعن سعيد بن المسيب: قال: «إنَّ الرجل ليُرْفَع بدعاء ولده من بعده» [أخرجه ابن أبي شيبة ٧/١١٩].

٧- عليك بحفظ أدعية الرسول الجامعة، ففيها خير الدنيا والآخرة:

فقد يكون الوقت المقدَّر للدعاء لا يتحمَّل جملةً أو جملتين، كحال السجود في صلاة الجماعة، أو بين الأذان والإقامة، وقد بَقِيت دقيقة مثلًا، أو عند سماع صياح الديك، أو في آخر وقت السَّحَر، وقد بقي على الصبح شيء يسير.. وهكذا، فعليك وقتها بأحدِ هذه الأدعية النبوية الجامعة المباركة، فلا تدري لعلها تكون دعوتك المجابة.

٨- ابدأ بنفسك أولًا:

عن النخعي قال: كان يقال: «إذا دعوتَ فابدأ بنفسك، فإنك لا تدري في أيِّ دعاء يُستجاب لك» [أخرجه ابن أبي شيبة ٧/ ٣٣].

٩- الدعاء في الفريضة ليس كالدعاء في النافلة:

عن عون بن عبد اللَّه بن عتبة قال: «اجعلوا حوائجكم اللاتي تهمكم في الصلاة المكتوبة، فإنَّ الدعاء فيها، كفضلها على النافلة» [حلية الأولياء ٤/ ٢٥٣].

١٠- إذا سألت اللَّه شيئًا من الدنيا أو الآخرة، فاسأل اللَّه أن يرزقك الشكر عليها إذا أجابك:

فإن اللَّه ذكَر قومًا في القرآن؛ سألوا فلما أعطاهم بخلوا، قال -تعالى-: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [التوبة: ٧٥- ٧٦].

فيا أخي الكريم:

- إذا سألت اللَّه أن يرزقك مالًا؛ فقل بعده: واجعلني فيه من الشاكرين، فهذا أحرى أن يُدِيم عليك هذه النعمة، ولا ينزعها منك.

- وإذا سألت اللَّه أن يرزقك حفظ القرآن؛ فقل بعده: واجعلني من الشاكرين، فهذا أحرى أن يثبِّته اللَّه في قلبك وينفعك به.

- وإذا رأيت نعمة على أحدٍ، ودعوت له بالبركة؛ فقل: اللَّهم بارك لهم فيما رزقتهم، واجعلهم من الشاكرين.

١١- إذا كانت لك حاجة من حوائج الدنيا، وأردت أن تدعو، فضُمَّ إليها حاجةً من حوائج الآخرة؛ فحاجتك إلى الآخرة أشدُّ:

فعن عبد اللَّه بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: أضاف النبي ﷺ ضيفًا، فأرسل إلى أزواجه يبتغي عندهن طعامًا، فلم يجد عند واحدة منهن، فقال: «اللَّهم إني أسألك من فضلك ورحمتك، فإنه لا يملكها إلا أنت»، فأُهْدِيَتْ له شاةٌ مَصْلِيَّةٌ، فقال: «هذه مِن فَضل اللَّه، ونحن ننتظر الرحمة» [أخرجه أبو نعيم في الحلية ٥ /٣٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/ ٥٧].

فائدة:

قال بعض أهل العلم: إذا اجتمع الفضل مع الرحمة في سياقٍ واحدٍ في آيةٍ، أو حديثٍ، فيُفَسَّر الفضلُ: على أنه فَضْل الدنيا، وتُفَسَّر الرحمة: على أنها فَضْل الآخرة.

وقد ذمَّ اللَّه -تعالى- في القرآن مَن سأل الدنيا فقط، فقال -سبحانه-: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

ومدَح مَن سأل الدنيا مع الآخرة، فقال: ﴿وَمِنْهُم

مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠١- ٢٠٢].

ولذلك قلب المؤمن المتعلّق بالآخرة، لا يسأل اللَّه شيئًا من أمور الدنيا، إلا ويجمع معها سؤال الآخرة، تأسيًا برسول اللَّه ﷺ.

١٢- إذا سألتَ اللّه خيرًا أو استعذتَ به من شرٍّ، وأردتَ أن تؤمِّن إجابة هذا السؤال، فأشرك معك مَن تحب والمؤمنين والمؤمنات:

فبهذا تكون قد حُزْتَ على ثوابيْن: ثواب دعائك لنفسك، وثواب دعائك لغيرك، وفزتَ بإجابة دعوتك.

هذه أم الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت لصفوان: أتريد الحج العام؟ قال: فقلت: نعم، قالت: فادعُ اللّه لنا بخير؛ فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابةٌ، عند رأسه مَلَكٌ، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكَّل به: آمين، ولك بمثل» [أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٩٤].

١٣- كلما وجدتَ في قلبك خشيةً، أو رغبةً، أو رهبةً، أو انكسارًا، أو رِقَّةً؛ فلا تفوِّت هذه الفرصة العظيمة، وارفع يدك، وسَلِ اللَّه بما يتوافق مع حال قلبك، ثم سَلْه -سبحانه- ما شئت بعدها:

مثال: إذا قرأت شيئًا عن وَصْف الجنة، فوجدت في قلبك رغبةً إلى اللَّه في دخولها، فادعُ اللَّه مباشرة أن يجعلك من أهلها، ثم إذا أردت شيئًا من أمور الدنيا فلا حرج، ادعُ اللَّه وقل: يا رب وَسِعَ فضلُك كلَّ شيءٍ، وأنت أكرم الأكرمين؛ لا تحرمني فضلك في الدنيا، أسألك كذا وكذا . . .إلخ من فضلك، وأن تتمَّ فضلك عليَّ في الآخرة.

مثال آخر: إذا فقدتَ والديك أو أحدهما أو أحد أحبابك، وسمعت أو قرأت أو رأيت شيئًا ذكَّرَك بهم وبذكرى جميلة كانت بينكم، فهاجت مشاعر شوقك إليهم؛ فارفع يدك مباشرةً، وادعُ اللَّه لهم بالمغفرة والرحمة، وأن يجمعك بهم في جنته -سبحانه- ثم إذا كان في قلبك حاجة أخرى فلا حَرَج أن تسألها ربَّك بعدَها.

المقصود: أن تستغل الرحمة أو الانكسار الذي في قلبك وقتها، وتدعو اللَّه وتسأله من فضله؛ فحينها أنت قريب جدًّا من الإجابة.

١٤- إذا فتح اللَّه لك بابًا من أبواب الإجابة؛ فلا تنشغل إلا بسؤال اللَّه وحده:

ولتوضيح هذه الوصية؛ تأمل فقه السلف الصالح في هذين الموقفين:

الأول: ذهب بكرٌ بن عبد اللَّه المُزَنِيّ ليعود مريضًا، فقال المريض لبكر: «ادعُ اللَّه -عز وجل- لي، فقال: ادعُ لنفسك، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه» [أخرجه الطبراني في الدعاء: ١١٣٧].

الثاني: دخل الحسن البصري على أبي عثمان النهدي يعوده وهو مريض فقيل لأبي عثمان: يا أبا عثمان ادع اللَّه بدعوات، فقد بلغك في فضل دعاء المريض ما قيل فيه، قال: فحمد اللَّه وأثنى عليه وتلا آيات من كتاب اللَّه -تعالى- وصلى على النبي ﷺ ثم رفع يده، ورفعنا أيدينا فدعا، فلما وضعنا أيدينا قال: أبشروا فوالله لقد استجاب اللَّه لكم، فقال له الحسن: أتأتلي على اللَّه؟ قال: يا حسن، لو حدثتني بحديث لصدقتك، فكيف لا أصدقه وهو يقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾، فلما خرجوا من عنده؛ قال الحسن: إنه لأفقه مني. [تنبيه الغافلين للسمرقندي].

في الموقف الأول: سأل المريض الدعاء من الزائر، فنبَّهه الزائر أن يدعو لنفسه؛ إذ إنه في حالة اضطرار، واللَّه -تعالى- قد فتح له بابًا من أبواب الإجابة، فلا يُعقل ولا يَحسن أن ينشغل عنه بغيره، وهذا هو المقصود.

في الموقف الثاني: سأل الزائر الدعاء من المريض؛ اغتنامًا للحال التي هو عليها (المرض والاضطرار)، وهذه فِطْنة وذكاء من الزائر، فدعا له المريض وبشَّره أيضًا بالإجابة.

١٥- تصوَّر في عقلك معنى ما تدعو به:

فعن عليٍّ قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «قل اللَّهمَّ اهدني وسدِّدني، واذكر بالهدى هدايتك الطّريق، والسّداد سداد السّهم» [رواه مسلم٤/ ٢٠٩٠].

- قال القرطبيّ رحمه الله: «هذا الأمر منه ﷺ يدلُّ على أن الذي ينبغي له أن يهتم به العبد في دعائه: استحضار معاني دعواته في قلبه، ويبالغ في ذكرها بلفظه، بضربٍ من الأمثال» [المفهم لما أشكل من صحيح مسلم ٧/ ٥٣].

- وقال يحيى بن هبيرة: «ذكَر له النبيُّ ﷺ ما يجمع له بين حفظ النُّطق، ومعرفة المعنى» [الإفصاح عن معاني الصحاح ١/ ٢٨٧].

١٦- اختتم دعاءك بالصلاة على النبي ﷺ:

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: «مَن أراد أن يسأل اللَّه حاجةً، فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ، ثم يسأله حاجته، ثم يختم بالصلاة على النبي ﷺ فإن اللَّه -عز وجل- يقبل الصلاتين، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما».

* * * * *

١٢

دُرَر من أدعية السلف الصالح

كان الإمام ابن قدامة المقدسي لا يكاد يسمع دعاءً إلا حفظه، و دعا اللَّه به. [ذيل طبقات الحنابلة].

«إن من تمام نعمة اللَّه على عباده المؤمنين أن ينزل بهم الشدة والضر، وما يلجئهم إلى توحيده؛ فيدعونه مخلصين له الدين، ويرجونه لا يرجون أحدًا سواه، وتتعلق قلوبهم به لا بغيره، فيحصل لهم الشيء الكثير من التوكل عليه والإنابة إليه وحلاوة الإيمان، ولكل مؤمن من ذلك نصيب بقدر إيمانه، ولهذا قال بعض السلف: «إنه ليكون لي إلى اللَّه حاجة فأدعوه فيفتح لي من لذيذ معرفته، وحلاوة مناجاته، ما لا أحب معه أن يعجل قضاء حاجتي، خشية أن تنصرف نفسي عن ذلك»؛ لأن النفس لا تريد إلا حظها فإذا قضي انصرفت» [ابن تيمية مجموع الفتاوى ١٠/ ٣٣٣].

فهذه بعض مناجاة الصالحين، وأدعية المخلصين، مما فتَح اللَّه عليهم، وأطلق ألسنتهم بها، اخترتها لك؛ لأضعها بين يديك سهلةً ميسورةً؛ إذ ليس كل الناس يُحْسِنُون التعبير والإفصاح عما بأنفسهم، فعسى أن تُصادِف حزنًا أو معاناةً أو كربًا أو ابتلاءً، فينتفع بها قارؤها؛ كما انتفع بها قائلوها.

ولا شك أن الثناء على اللَّه، والدعاء بما جاء في

القرآن والسنة الصحيحة، هو الأكمل والأفضل مطلقًا، لكن يبقى دعاء الصالحين في دائرة المباح، ما لم يكن فيه تكلُّف أو مخالفة للعقيدة الصحيحة، أو أن ينشغل به عن دعوات القرآن الكريم والسنة الشريفة، وهذا مذهب جمهور العلماء.

دعاء نبي اللَّه عيسى عليه السلام

اللَّهم أنت إلهُ من في السماء، وإلهُ من في الأرض، لا إله فيهما غيرك، وأنت جبّار من في السماء، وجبّار من في الأرض، لا جبار فيهما غيرك، وأنت مَلِك مَن في السماء، ومَلِك مَن في الأرض، لا مَلِكَ فيهما غيرك، قدرتك في الأرض كقدرتك في السماء، وسلطانك في الأرض كسلطانك في السماء، أسألك باسمك الكريم، ووجهك المنير، وملكك القديم، إنك على كل شيء قدير [عرائس المجالس للثعلبي].

دعاء الصحابي ابن مسعود رضي الله عنه

اللَّهمّ إنّي أسألك إيمانًا لا يرتدُّ، وقرَّة عينٍ لا تنقطع، ومرافقة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في أعلى جنَّة الخلد.

دعاء الصحابي عمرو بن العاص رضي الله عنه

اللَّهم إنك آتيت عَمْرًا مالًا، فإن كان أحب إليك أن تسلب عمرًا ماله ولا تعذبه بالنار فاسلبه ماله، وإنك آتيت عمرًا ولده، فإن كان أحب إليك أن تثكل عَمْرًا ولده ولا تعذبه بالنار فاثكله ولده، وإنك آتيت عمرًا سلطانًا، فإن كان أحب إليك أن تنزع منه سلطانه ولا تعذبه بالنار فانزع منه سلطانه [قيام الليل للمروزي].

- **ومعنى هذا الدعاء**: أنه إذا كان المال والولد والسلطان أو أيّ نعمة في الدنيا ستكون سبباً لعذابي في النار، فانزعها مني في الدنيا ولا تعذبني في النار.

دعاء الصحابي أبي معلق الأنصاري رضي الله عنه

يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعَّال لما يريد، أسألك بعزِّك الّذي لا يُرَام، وملكك الَّذي لا يُضام، وبنورك الّذي ملأ أركان عرشك؛ أن تكفيني ما أصابني، وما أنا فيه، يا مُغِيث أغثني، يا مغيث أغثني.

- **معنى «عزك الذي لا يُرام وملكك الذي لا يُضام»**: أي أنك يا رب عزيز لا يصل إليك أحدٌ فيضرك، أو يَسلبك شيئًا أو ينقص من ملكك شيئًا، ولا يستطيع أحدٌ قهرك ولا ظلمك، فهذا ثناءٌ على اللَّه بصفات العزة والعظمة والقهر والجبروت [مجابو الدعوة لابن أبي الدنيا، قال ابن باز رحمه الله في مجموع الفتاوى: «موقوف على الحسن البصري ولكنه دعاء طيب يجوز الدعاء به»].

دعاء الصحابي حدير رضي الله عنه

اللَّهم كما لم تنسني؛ فلا تجعلني أنساك.

- **معنى هذا الدعاء**: يا رب كما تفضلت عليَّ وأنعمت عليَّ، فَوَفِّقْنِي لشكر نعمتك وحُسْن

عبادتك، ولا تجعلني من الغافلين.

فإذا تجددتْ لك نعمةٌ، أو رفَع اللَّه عنك بلاء، أو أدَّى عنك دَيْنًا، أو شفاك من سَقَم، أو قضى لك حاجةً، أو يسَّر لك أمرًا، فاسجدْ للَّه شُكرًا اللَّهم كما لم تَنْسَني؛ فلا تجعلني أنساك.

دعاء الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

عُبَيْدُك بفنائك، مُسَيْكِينُك بفنائك، فقيرك بفنائك، سائلك بفنائك؛ فرِّج عني ما أنا فيه، وملاقيه.

- **عُبَيْدُك**: تصغير كلمة عَبْد، وإنما أراد بها المبالغة في إظهار العبودية للَّه -تعالى-.

- **مُسَيْكِينُك**: تصغير كلمة مسكين، وإنما أراد بها المبالغة في إظهار المسكنة للَّه -سبحانه-.

دعاء ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ

* «اللَّهم كما أعطيتني دون أن أسأل، فلا تحرمني وأنا أسأل».

* ربي كم أتوب! وكم أعود! وأنت الغفور الودود، اللَّهم كما أسأتُ وأحسنتَ إليَّ، فإن عدتُ؛ فَعُدْ عليَّ.

- **هذا دعاء المؤمن الذي** يتوب من الذنب ثم يقع فيه، ثم يتوب ثم يقع فيه، وهكذا حاله، حتى

استحى مِن اللَّه مِن كثرة ما يعود إلى الذنب بعد ما يتوب منه.

* اللَّهم إنّ ذنوبنا قد عظُمت وجلَّت، وأنت أعظم منها، وأجلُّ، فافعل بنا ما أنت أهله، ولا تفعل بنا ما نحن أهله.

دعاء إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ

* اللَّهم انقلني من ذلِّ معصيتك، إلى عزِّ طاعتك.

* اللَّهم إنك ترى ولا أرى، وأنت الأعلى، وإن لك الآخرة والأولى، وإنّا نعوذ بك من أن نَذلَّ ونخزى.

* إلهي إذا ذكرتُ ذنوبي؛ ضاقت عليَّ الأرض برحبها، فإذا ذكرتُ رحمتك؛ وسعت عليَّ.

* إلهي أن أذوق مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة؛ أهون عليَّ مِن أن أذوق مرارة الآخرة بحلاوة الدنيا.

- **هذا دعاء مَن شغلته الدنيا** وزِينتها وملاذّها عن طاعة ربه، فخَشِيَ على نفسه أن يكون من الخاسرين في الآخرة، فيكون قد استبدَل نعيم الآخرة الدائم بنعيم الدنيا الزائل.

* اللَّهم لا تكلني إلى نفسي؛ فأعجز عنها، ولا تكلني إلى المخلوقين فيضيعوني.

- **معنى الدعاء**: أني لا أثق في نفسي ولا في غيري، لا أثق إلا في حكمتك وقدرتك ورحمتك وكرمك وحسن تدبيرك يا رب.

دعاء سعيد بن المسيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ

اللَّهم سلِّمْنِي، وسلِّم منِّي.

- **معنى الدعاء**: سَلِّمني يا رب مِن ظلم الناس وشرّهم، وسلِّمْهم مِن شرِّي وظُلمي.

دعاء مطرف بن عبد الله الشخير رَحِمَهُ ٱللَّهُ

* اللَّهم إنّي أستغفرك مما تبتُ إليك منه، ثم عدتُ فيه، وأستغفرك مما جعلته لك على نفسي، ثم لم أفِ لك به، وأستغفرك مما زعمت أني أردت به وجهك، فخالَط قلبي فيهما ما قد علمت.

* اللَّهمَّ اجعل عملي كلّه صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئًا.

* اللَّهمّ اجعلني عندك مِن أرفع خلقك، واجعلني في نفسي من أوضع خلقك، واجعلني عند النَّاس من أوسط خلقك.

- **معنى الدعاء**: اجعل مقامي عاليًا ومنزلتي كبيرة عندك يا رب، واجعل مقامي في نفسي صغيرًا لأكون

متواضعًا، واجعل مقامي عند الناس عاديًا، لا مشهورًا ولا معروفًا، شأني كشأن باقي الناس.

دعاء محمد بن المنكدر رَحِمَهُ ٱللَّهُ

* يا سادَّ الهواء بالسّماء، ويا كابس الأرض على الماء، ويا واحد قبل كلِّ أحدٍ يكون؛ أسألك...

و..... و.... .

* يا سامع الصوت، ويا سابق الفوت، ويا كاسي العظام لحمًا بعد الموت؛ أسألك.... و.....

و.... .

دعاء الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ

* يا صاحبي عند كل شدة، ويا نَجِيّي عند كل كُرْبَة، ويا وليّي عند كل نعمة، ويا حاضري عند كل غربة، ويا مؤنسي عند كل وحشة، ويا رازقي عند كل حاجة، ويا إلهي وإله آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب، صلِّ اللَّهم عليهم وعلى محمد وسلِّم تسليمًا، واجعل لي من أمري فَرَجًا ومخرجًا، يا أرحم الراحمين.

* اللَّهمَّ يا سيدي حبستَ مَن شئتَ عن خدمتك، وأطلقتَ لها مَن أحببت من خلقك، غير ظالم ولا مسؤول عن فعلك، وقد تقدَّمت لي فيك آمال، فلا

تجمع عليَّ المنع من الطَّاعة، وخيبة الأمل فيك، يا كريم.

- **معنى الدعاء**: يا رب تفضَّلت على بعض عبادك أن وفَّقتهم لطاعتك، ومنعت فضلك عن بعض عبادك ولم تُوَفِّقهم لطاعتك، وأنا -على تقصيري- آمُل مِن فضلك في الدنيا، فبلِّغْنِي أمَلِي فيك، ولا تجعلني أكثر عبادك نصيبًا من الحرمان.

دعاء معروف الكرخي رَحِمَهُ اللَّهُ

«إلهي وسيدي أسألك أن تُفرحهم في الجنة كما فرحتهم في الدنيا».

- **وهذا الدعاء له قصة، وهي**: أن معروف الكرخي كان قاعدًا في دجلة ببغداد؛ إذ مرَّ به أحداث (صغار السن) في زورق يضربون الملاهي ويشربون، فقال له أصحابه: أما ترى أن هؤلاء في هذا الماء يعصون اللَّه ادعُ عليهم.

فرفَع يده إلى السماء، وقال: «إلهي وسيدي أسألك أن تُفرحهم في الجنة كما فرحتهم في الدنيا»؛ فقال له أصحابه: إنما قلنا لك: ادع اللَّه عليهم، لم نقل لك ادع اللَّه لهم، فقال: إذا فرَّحهم في الآخرة تاب

عليهم في الدنيا، ولم يضرّكم بشيء.

دعاء الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ

اللَّهم كما صنتَ وجهي عن السجود لغيرك، فصُنْهُ عن سؤال غيرك.

دعاء هارون الرشيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ

يا مَن لا يمسُّه الضُّرُّ؛ ارحم مَن مسَّه الضّرُّ، يا من لا يمسَّه الضّرُّ، اشفِ من مسَّه الضُّرُّ.

من أدعية بعض الصالحين

* اللَّهم لا تحرمنا خير ما عندك بسوء ما عندنا.

* اللَّهم اكفني بما شئت، وكيف شئت؛ إنك على ما تشاء قدير.

- **هذا الدعاء** حين يقع عليك ظلمٌ أو قَهْر، أو تُبْتَلى بكَرْبٍ أو تقع في مشكلةٍ، ولا تستطيع لها حلًا، ولا تُحْسِن اتخاذ قرار.

* اللَّهم لا تَقطع عنَّا فضلك، ولا تُقنِّطنا من رحمتك، وأعنَّا على ذِكْرك وشكرك وحسن عبادتك.

* اللَّهم إن كنتُ سألتُ خلقك، فبعزَّتِك لتعلَم وأنت فوق عرشك، أني لا أرجو غيرك، ولا آمل إلا فيك وحدك، إنما هي أسبابٌ، وأنت الكريم الوهَّابُ،

ربِّ فرِّج عني واجعلني من الشاكرين، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

هذا الدعاء لمن كانت له حاجةٌ شديدةٌ، ولم يَستطع تدبيرَ أمْرِه بنفسه، فاضْطُرَّ أن يسأل الناس.

من دعاء بعض الحكماء

* «اللَّهم هَبْنِي القوة لتغيير ما أستطيع تغييره من الأمور، والصبر على ما لا أستطيع تغييره من الأمور، والحكمة للتمييز بين هذه وتلك».

* يا مَن لا يشغله شأنٌ عن شأنٍ، ولا سمعٌ عن سمعٍ، ولا تشتبه عليه الأصوات، يا مَن لا تغلطه المسائل، ولا تختلف عليه اللغات، يا مَن لا يُبْرِمه إلحاحُ المُلِحِّين، ولا تُضْجِره مسألة السائلين، أذِقْنَا بَرْدَ عفوك وحلاوة مناجاتك.

دعاء محمد الباقر رَحِمَهُ ٱللَّهُ

اللَّهم مَن كانت له حاجة، هاهنا وهاهنا، فاجعل حاجتي إليك وحدك لا شريك لك.

دعاء محارب بن دثار رَحِمَهُ ٱللَّهُ

أنا الصغير الذي ربَّيته؛ فلك الحمد.

وأنا الضعيف الذي قوَّيته؛ فلك الحمد.

وأنا الفقير الذي أغنَيْتَه؛ فلك الحمد.
وأنا الصعلوك الذي موَّلته؛ فلك الحمد.
وأنا العزب الذي زوَّجته؛ فلك الحمد.
وأنا الساغب (الجائع) الذي أشبعته؛ فلك الحمد.
وأنا العاري الذي كَسَوْتَه؛ فلك الحمد.
وأنا المسافر الذي صحبتَه؛ فلك الحمد.
وأنا الغائب الذي آويتَه؛ فلك الحمد.
وأنا الراجل الذي حملتَه؛ فلك الحمد.
ولك الحمد ربنا حمدًا كثيرًا على كل حمدٍ.

* * * * *

١٣

من عجيب قصص الدعاء

«لئن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنه» [حديث قدسي].

«ربَّ أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على اللَّه لأبرَّه، منهم البراء بن مالك» [حديث صحيح].

عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عن سعيد بن المسيّب: أنّ عمر بن الخطّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمّا نفر من منًى، أناخ بالأبطح، ثمَّ كوَّم كومةً من بطحاءٍ، فألقى عليها طرف ردائه، ثمَّ استلقى، ورفع يديه إلى السّماء، ثمّ قال: «اللَّهمَّ كبرت سنِّي، وضعفت قوَّتي، وانتشرت رعيِّتي، فاقبضني إليك غير مضيِّعٍ، ولا مفرِّطٍ»، فما انسلخ ذو الحجَّة حتّى طُعِنَ فماتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [مجابو الدعوة لابن أبي الدنيا].

سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أ- عن عبد اللَّه بن جحشٍ أنه قال لسعد بن أبي وقاص يوم أُحدٍ: ألا تأتي ندعوا اللَّه، فخَلَوْا في ناحيةٍ، فدعا سعدٌ فقال: يا ربّ إذا لقينا القوم غدًا، فلقِّنِي رجلًا شديدًا بأَسُه، شديدًا حَرَدُه، فأقاتله فيك ويقاتلني، ثمَّ ارزقني عليه الظَّفَر حتَّى أقتلَه، وآخُذَ سلَبَه، فقام عبد اللَّه بن جحشٍ ثمَّ قال: اللَّهمَّ ارزقني غدًا رجلًا شديدًا حَرَدُه، شديدًا بأْسُه، أقاتله فيك، ويقاتلني، ثمّ يأخذني فيَجْدَع أنفي وأُذني، فإذا لقيتك غدًا، قلت: يا عبد اللَّه فِيمَ جُدِعَ أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فيقول: صدقتَ. فكان

لكلٍّ منهما ما تمنَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. [تاريخ الطبري، وقال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح ٩/٣٠٣].

* * * * *

ب- عن جابر بن سمرة، قال: شكا أهل الكوفة سعدًا، إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فشكوا حتَّى ذكروا أنَّه لا يُحسن يصلّي، فعزَلَه، واستعمل عليهم عمَّارًا.

ثم أرسل عمرُ إلى سعد، فقال: يا أبا إسحاق إنّ هؤلاء يزعمون أنّك لا تُحْسِن تُصلِّي؟ فقال سعد: أمّا أنا، واللَّه فإنّي كنت أصلِّي بهم صلاة رسول اللَّه ﷺ ما أخرم عنها، أصلّي صلاة العشاء، فأركد في الأوليين، وأخفّ في الأخريين، قال: ذاك الظّنّ بك يا أبا إسحاق. فأرسل معه رجلًا إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدع مسجدًا إلّا سأل عنه، ويثنون معروفًا (أي: يمدحونه بالخير).

حتّى دخل مسجدًا لبني عبسٍ، فقام رجلٌ منهم، يقال له أسامة بن قتادة، يكنى أبا سعدة، قال: أمّا إذ نشدتنا (استحلفتنا باللَّه)؛ فإنَّ سعدًا كان لا يسير بالسَّريَّة (يقصد: لا يسير مع الجيش، ويقعد في بيته)، ولا يقسم

بالسَّويَّة، ولا يعدل في القضيَّة، قال سعدٌ: أما واللَّه لأدعونَّ بثلاثٍ: اللَّهمَّ إن كان عبدك هذا كاذبًا، قام رياءً وسمعةً، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرِّضه للفتن، وكان (أي: الرجل المفترِي الكاذب) بعدُ إذا سُئِلَ يقول: شيخٌ كبيرٌ مفتونٌ، أصابتني دعوة سعدٍ. قال عبد الملك: فأنا رأيته بعدُ، قد سقط حاجباه على عينيه من الكِبَر، وإنّه ليتعرَّض للجواري في الطُّرُق يغمزهنَّ.

[أخرجه البخاري رقم ٧٥٥].

* * * * *

جـ- عن سعيد بن المسيب: أنّ رجلًا كان يقع في عليٍّ، وطلحة، والزبير رضي الله عنهم (أي: يسبُّهم ويشتمهم)، فجعل سعد بن أبي وقاص ينهاه، ويقول: لا تقع في إخواني، فأبى (أي: رفض النصيحة)، فقام سعدٌ فصلَّى ركعتين، ثم قال: اللَّهمّ إن كان مُسْخِطًا لك فيما يقول، فأرني به آفةً، واجعله آيةً للناس، فخرج الرجل، فإذا هو ببختيٍّ (جمل ضخم)، يشقُّ الناس، فأخذه بالبلاط، فوضعه بين كركرته والبلاط، فسحقه حتى قتله. قال ابن المسيب: فأنا رأيت الناس، يتبعون سعدًا، ويقولون:

هنيئًا لك يا أبا إسحاق، أُجِيبَتْ دعوتك. [أخرجه الطبراني وقال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح ٩/ ١٥٤].

قال الذهبي في السِّيَر: «في هذا كرامةٌ مشتركة بين الدَّاعِي والّذين نِيلَ منهم». يعني كرامة لسعد وعليّ وطلحة والزبير -رضوان اللَّه عليهم أجمعين-.

سعيد بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

عن عروة بن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أَن أَرْوَى بنت أُوَيْس ادَّعَتْ على سعيد بن زيد: أنه أخذ شيئًا من أرضها، فخاصمته إلى مرْوان بن الحكم، فقال سعيد: أنا كنتُ آخذ مِن أرضها شيئًا بعد الذي سمعتُ من رسول اللَّه ﷺ؟! قال: وما سمعتَ منه؟ قال: سمعتُه يقول: «مَن أخذ شبرًا مِن الأرض ظلمًا طُوِّقَه يوم القيامة إِلى سبع أرضين»، فقال له مرْوان: لا أسألك بينةً بعد هذا. ثم قال سعيد: اللَّهم إن كانت كاذبة فأعْمِ بَصَرها، واجعل قبرها في أرضها. قال عروة: فما ماتت حتى ذهب بصرها، فرأيتُها عمياءَ تَلْتَمِسُ الجُدُرَ، تقول: أصابتني دعوةُ سعيد بن زيد، ثم بينما هي تمشي في أرضها مرَّتْ على حُفْرَة فيها، فوقعتْ فيها فكانت قَبرَها» [أخرجه مسلم ١٦١٠].

أنس بن النضر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كسرت الرُّبَيّع بنت النضر ثنيَّة جارية (مقدِّمة أسنانها)، فعرضوا عليهم الأرش: (دية العضو الذي كسرته: مقابل مادي جزاء ما فعلت) فأبوا، فطلبوا منهم العفو فأبوا: (رفضوا)، فقضى بينهم رسول اللَّه ﷺ بالقِصَاص، فقال أنسُ بن النضر: أتُكْسَر ثنيَّة الرُّبيّع؟! والذي بعثك بالحق لا تُكسر ثنيّتها، فحلف أنها لا تُكسر، وهذا حكم اللَّه، فرضي القوم وأخذوا الأرش، فقال رسول اللَّه ﷺ: «إن من عباد اللَّه مَن لو أقسم على اللَّه لأبرَّه» [أخرجه البخاري ومسلم].

توضيح: أنس بن النضر، لم يحلف اعتراضًا على حكم اللَّه، ولكن حُسنُ ظنهِ بربه، وانشراح صدره للإجابة، جعله يحلف أن هذا لا يكون ولا يصير، فبرَّ اللَّه -تعالى- قسَمَه ويمينه.

البراء بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عن أنس عن النبي ﷺ قال: «كم من ضعيفٍ متضعّفٍ، ذي طمرين، لو أقسم على اللَّه لأبرَّه، منهم: البراء بن مالك». فلما كان (البراء) في معركة، وزحفوا على المشركين قال المسلمون:

يا براء! اقسم على ربك؛ لأن النبي ﷺ قال: إنك لو أقسمت على اللَّه لأبرّك. قال البراء: أقسمت عليك يا ربي! لما منحتنا أكتافهم، فمنحهم اللَّه -تعالى- أكتافهم، فقتلوهم وأبادوهم وغلبوهم.

ثم التقى المسلمون مع الفرس مرةً أخرى في فتح (تستر)، فقالوا له: اقسم على ربك، فقال: أقسمت عليك يا ربي! لما منحتنا أكتافهم، ثم قال: وألحقني بنبيّك ﷺ فمُنِحَوا أكتافهم، واستشهد البراء -رضي اللَّه تعالى عنه-» [أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه].

العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه

عن سهم بن منجاب قال: غزونا مع العلاء بن الحضرميِّ دارين، قال: فدعا بثلاث دعواتٍ، فاستجاب اللَّه له فيهنَّ كلِّهنَّ. قال: سرنا معه فنزلنا منزلًا، وطلبنا الوضوء فلم نقدر عليه، فقام فصلَّى ركعتين، ثمّ دعا اللَّه، فقال: «اللَّهمّ يا عليم يا حكيم، يا عليُّ يا عظيم، إنّا عبيدك، وفي سبيلك نقاتل عدوّك، فاسقنا غيثًا نشرب منه، ونتوضّأ من الأحداث، وإذا تركناه؛ فلا تجعل لأحدٍ فيه نصيبًا غيرنا»، قال: فما جاوزنا غير قليلٍ، فإذا نحن بنهرٍ

من ماء سماءٍ يتدفّق، قال: فنزلنا فتروّينا، وملأت إداوتي، ثمَّ تركتها، فقلت: لأنظرنّ هل استجيب له؟ فسرنا ميلًا أو نحوه، فقلت لأصحابي: إنّي نسيت إداوتي فذهبت إلى ذلك المكان، فكأنّما لم يكن فيه ماءٌ قطّ، فأخذت إداوتي، فجئت بها.

فلمَّا أتينا دارين -وبيننا وبينهم البحر- فدعا أيضًا فقال: اللَّهمَّ يا عليم يا حليم، يا عليّ يا عظيم، إنّا عبيدك، وفي سبيلك نقاتل عدوّك، فاجعل لنا سبيلًا إلى عدوّك، ثمَّ اقتحم بنا البحر، فواللَّه ما ابتلَّت سروجنا حتَّى خرجنا إليهم.

فلمّا رجعنا، اشتكى العلاء بن الحضرمي بطنه فمات، فلم نجد ما نغسِّله به، فكفَّنَّاه في ثيابه، ودفنَّاه، فلمّا سرنا غير بعيدٍ، إذا نحن بماءٍ كثيرٍ، فقال بعضنا لبعضٍ: ارجعوا لنستخرجه فنغسِّله، فرجعنا، فطلبنا قبره، فخفي علينا قبره، فلم نقدر عليه، فقال رجلٌ من القوم: إنّي سمعته يدعو اللَّه يقول: «اللَّهمّ يا عليم يا حليم، يا عليّ يا عظيم، أخف جثَّتي، ولا تُطْلِع على عورتي أحدًا، فرجعنا وتركناه» [مجابو الدعوة لابن أبي الدنيا].

دعوة أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عن طلق بن حبيبٍ، قال: لمّا قتل عثمان؛ وفدنا وفودًا من البصرة نسأل: فِيمَ قُتِلَ؟ فقدمنا المدينة؛ فتفرَّقنا، فمنَّا مَن أتى عليًّا، ومنَّا من أتى الحسن بن عليٍّ، ومنّا من أتى أمّهات المؤمنين، فأتيت عائشة، فقلت: يا أمّ المؤمنين، ما تقولين في عثمان؟ قالت: (قُتِلَ واللَّه مظلومًا، لَعَنَ اللَّه قَتَلَتَهُ»، فما منهم أحدٌ إلّا أصابته دعوتها. [مجابو الدعوة لابن أبي الدنيا]

قصة دعاء (عبد اللَّه بن عمر) و(عبد اللَّه ومصعب: ابني الزبير) و(عبد الملك بن مروان)

عن عامر بن شراحبيل الشّعبيّ قال: «لقد رأيت عجبًا، كنَّا بفناء الكعبة أنا وعبد اللَّه بن عمر، وعبد اللَّه بن الزّبير، ومصعب بن الزّبير، وعبد الملك بن مروان، فقال القوم بعد أن فرغوا من حديثهم: ليقم كلُّ رجلٍ منكم فليأخذ بالرُّكن اليمانيِّ، ويسأل اللَّه حاجته، قم يا عبد اللَّه بن الزُّبير، فإنّك أوّل مولودٍ وُلِدَ في الهجرة، فقام فأخذ

بالرّكن، ثمّ قال: اللَّهمّ إنّك عظيمٌ، تُرْجَى لكلِّ عظيمٍ، أسألك بحرمة وجهك، وحرمة عرشك، ألّا تميتني من الدّنيا حتّى تولّيني الحجاز، ويُسَلَّمُ عليَّ بالخلافة، وجاء حتّى جلس، فقالوا: قم يا مصعب ابن الزّبير، فقام حتّى أخذ بالرّكن اليمانيّ، فقال: اللَّهمّ إنّك ربّ كلّ شيءٍ، وإليك مصير كلّ شيءٍ، أسألك بقدرتك على كلّ شيءٍ، ألّا تميتني من الدّنيا حتّى تولّيني العراق، وتزوِّجني سكينة بنت الحسين، وجاء حتّى جلس، فقالوا: قم يا عبد الملك بن مروان، فقام حتّى أخذ بالرّكن اليمانيّ، فقال: اللَّهمّ ربّ السّموات السّبع، وربّ الأرضين ذات النّبت بعد القفر، أسألك بما سألك عبادك المطيعون لأمرك، وأسألك بحرمة وجهك، وأسألك بحقّك على جميع خلقك، ألّا تميتني من الدّنيا حتّى تولّيني شرق الدّنيا وغربها، ثمّ جاء حتّى جلس، فقالوا: قم يا عبد اللَّه ابن عمر، فقام حتّى أخذ الرّكن اليمانيّ، ثمّ قال: اللَّهمّ إنّك رحمنٌ رحيمٌ، أسألك برحمتك الّتي سبقت غضبك، وأسألك بقدرتك على جميع خلقك، ألّا تميتني من الدّنيا حتّى تُوجِبَ ليَ الجنّة.

قال الشّعبيّ: فما ذهبت عيناي من الدّنيا حتّى رأيت

كلّ رجلٍ منهم قد أُعْطِيَ ما سأل، وعسى أن يعطي اللَّه لعبد اللَّه بن عمر ما سأل» [مجابو الدعوة لابن أبي الدنيا].

مطرّف بن عبد اللَّه الشخير رَحِمَهُ اللَّهُ

عن حميد بن هلال قال: كان بين مطرّف وبين رجلٍ من حيّه شيء في مسجد قومه. فقال لمطرّف شيئًا يكرهه. فقال مطرّف: إن كنت كاذبًا فأماتك اللَّه. فمات مكانه. فخاصموه إلى زياد (والي المدينة)؛ فقال: هل مسَّه، أو ضرَبه؟ فقالوا: لا. فقال: إنما هي دعوة رجلٍ صالحٍ وافقت القَدَر. [تاريخ دمشق لابن عساكر].

سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ

عن عبد الرزاق قال: بعث أبو جعفر المنصور الخشّابين حين خرج إلى مكة، فقال: إن رأيتم سفيان الثوري؛ فاصلبوه. قال: فجاءه النّجّارون، ونصبوا الخشب، ونُودِيَ سفيان؛ وإذا رأسه في حجر الفضيل بن عياض، ورِجْلَاه في حجر ابن عيينة، فقالوا له: يا أبا عبد اللَّه، اتق اللَّه ولا تشمت بنا الأعداء، قال: فتقدّم إلى أستار الكعبة ثم أخذها، ثم دعا طويلًا، ثم قال: برئت منه إن دخلها أبو جعفر حيًّا، قال عبد الرازق: فمات أبو جعفر قبل أن

يدخل مكة، فأُخْبِرَ بذلك سفيان، فلم يقُل شيئًا. [تاريخ بغداد، وقال الذهبي: هذه كرامة ثابتة، سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥١].

عبد اللّه بن المبارك رحمه الله

قال الحافظ أبو علي النيسابوري: «نزل ابن المبارك مَرَّةً برأس سكّة عيسى، وكان الْحَسَن بن عيسى يركب، فيجتاز به وهو في المجلس، والْحَسَن من أحسن الشَّباب، فسأل عنه ابن المبارك، فقيل: إنه نصرانيّ. فقال: اللَّهُمَّ ارزقه الإسلام. فاستُجِيبَ له.

- ولمَا أسلم الحسن سمع من ابْن المبارك نفسه، ورحل فِي طلب العلم، وقدم بغداد حاجًا، فحدَّث بِهَا، فسمع منه أحمد بن حنبل، والبخاري، ومسلم، وابن أبي الدنيا، وعُدَّ فِي مجلسه بباب الطاق اثنتا عشرة ألف محبرة [تاريخ بغداد].

- **هذه دعوة ابن المبارك المباركة** يُسْلِم على أثرها الإمام المحدِّث الثقة أبو علي الحسن بن عيسى بن ماسَرْجس.

محمد بن المنكدر رحمه الله

عن عبد الرّحمن بن زيد بن أسلم قال: «خرج قومٌ غزاةً، وخرج معهم محمّد بن المنكدر، وكانت

صائفةً، فبينا هم يسيرون في السّاقة قال رجلٌ من القوم: أشتهي جبنًا رطبًا، فقال محمّد بن المنكدر: استطعموه يطعمكم، فإنّه لقادرٌ على كلّ شيءٍ، فدعا القوم؛ فلم يسيروا إلّا قليلًا حتّى وجدوا مكتلًا مخيطًا، كأنّما أتي به من الرّوحاء، فإذا هو جبنٌ، فقال بعض القوم: لو كان عسلًا؟ فقال محمّدٌ بن المنكدر: فإنّ الّذي أطعمكم جبنًا، هاهنا قادرٌ على أن يطعمكم عسلًا، فاستطعموا يطعمكم، فدعا القوم، فساروا قليلًا، فوجدوا قافزة عسلٍ على الطّريق، فنزلوا فأكلوا، وحمدوا ربّهم، وشكروا.

[مجابو الدعوة لابن أبي الدنيا].

سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ

عن أصبغ بن زيدٍ الواسطيّ قال: كان لسعيد بن جبيرٍ ديكٌ، كان يقوم من اللّيل بصياحه، فلم يصح ليلةً من اللّيالي حتَّى أصبح، فلم يصلِّ سعيدٌ تلك اللّيلة، فشقّ عليه (حزن حزنًا شديدًا)، فقال: «مَا لَهُ، قطع اللَّه صوته»، فما سُمِعَ له صوتٌ بعدها قالت أمّه: يا بنيَّ، لا تدعُ على شيء بعدها.

أبو مسلم الخولاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ

عن عثمان بن عطاءٍ قال: كان أبو مسلم الخولانيّ إذا دخل منزله سلَّم، فإذا بلغ وسط الدّار كبَّر، وكبَّرت امرأته، قال: فيدخل فينزع رداءه، وحذاءه، فتأتيه بطعامه فيأكل. فجاء ذات ليلةٍ فكبَّر، فلم تُجِبْه، ثمَّ أتى باب البيت فكبَّر، وسلَّم، فلم تُجِبْه، وإذا البيت ليس فيه سراجٌ، وإذا هي جالسةٌ بيدها عودٌ في الأرض تقلّب به، فقال لها: ما لك؟ فقالت: النّاس بخيرٍ، وأنت أبو مسلم، لو أنّك أتيت معاوية فيأمر لنا بخادمٍ، ويعطيك شيئًا نعيش به؟ فقال: «اللَّهمَّ مَن أفسد عليَّ أهلي؛ فأعمِ بصره، قال عثمان(راوي القصة): وكانت معها امرأةٌ فقالت لها: أنت امرأة أبي مسلمٍ، فلو كلّمت زوجك يكلّم معاوية ليخدمكم، ويعطيكم. قال: فبينا هذه المرأة في منزلها، والسّراج يزهر، إذ أنكرت بصرها، فقالت: سراجكم طُفِئَ؟ قالوا: لا، قالت: إنّا للَّه، ذهب بصري، فأقبلت كما هي إلى أبي مسلمٍ، فلم تزل تناشده اللَّه -عزّ وجلّ- وتطلب إليه، قال: فدعا اللَّه -عزّ وجلّ- فردَّ اللَّه عليها بصرها، ورجعت امرأته إلى حالها الّذي كانت عليه» [مجابو الدعوة لابن أبي الدنيا].

إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ

عن بقيّة بن الوليد قال: كنّا في البحر، فهبَّت الرّياح، وهاجت الأمواج، فبكى النّاس وصاحوا، فقيل لمعيوفٍ -أو ابن معيوفٍ - هذا إبراهيم بن أدهم، لو سألته أن يدعو اللَّه عزّ وجلّ؟ وإذا هو نائمٌ في ناحية السّفينة، ملفوفٌ رأسه في كساءٍ، فدنا منه، فقال: يا أبا إسحاق، أما ترى ما النّاس فيه؟ فقال: «اللَّهمّ قد أريتنا قدرتك، فأرنا رحمتك»، فهدأت السّفينة. [مجابو الدعوة لابن أبي الدنيا].

قصة عجيبة حدثت في زماننا

يُحْكَى أنَّ رجلًا وافته المنية، وبعد دفنه رأى أحد أهله رؤيا في منامه، وهي أنه أتاه منادٍ يخبره أن صاحبكم الذي دفنتموه غفر اللَّه له بسبب دعاء فلان ابن فلان.

وبعدما استيقظ من نومه سارع إلى أحد المشايخ ليسأله عن رؤياه؟!

فأجابه الشيخ: عليك أن تبحث من بين الذين حضروا الجنازة عن ذلك الذي ذكر اسمه وتسأله بِمَ دعا.

وبعد أن بحث عنه ووجده سأله ما هو الدعاء الذي دعا به للميت؟!

فقال: أنا لم أدع غير دعاء واحد حتى دخول الميت إلى قبره. قال له: وما هو الدعاء؟!

قال: قلت: اللَّهم أنت تعلم أنه لو كان ضيفي لأكرمته، والآن هو ضيفك؛ فأكرمه يا أكرم الأكرمين. [موسوعة غرائب القصص لأحمد بن سالم بادويلان].

* * * * *

١٤

أسئلة
مهمة في فقه الدعاء

١- سؤال: هل قراءة القرآن والذكر أفضل، أم الدعاء؟

الإجابة: قراءة القرآن أفضل مِن الذِّكر، والذكر أفضل من الدعاء؛ هذا من حيث النظر لكل منهما مجردًا، اللَّهم إلا أن يَعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفعَ له من قراءة القرآن، وكذلك أيضًا قد يعرض للعبد حاجة ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها بقراءة أو ذِكْر لم يحضر قلبه فيهما، وإذا أقبل على سؤالها والدعاء إليها اجتمع قلبه كله على اللَّه -تعالى-، وأحدث له تضرعًا وخشوعًا وابتهالًا، فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء -والحالة هذه- أنفع، وإن كان كل من القراءة والذكر أفضل وأعظم أجرًا، وهذا باب نافع يحتاج إلى فقه نفسه وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة، فيُعطى كل ذي حق حقه ويُوضَع كل شيء موضعه.

ووجه آخر وهو أن الذكر ثناء على اللَّه -عز وجل- بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه، والدعاء سؤال العبد حاجته. فأين هذا من هذا؟

ولهذا جاء في الحديث «مَن شغله ذِكْري عن مسألتي

أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»، ولهذا كان المستحب في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد اللّه والثناء عليه بين يدي حاجته، ثم يسأل حاجته.

وهكذا عامة الأدعية النبوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام.

ومنه حديث بريدة الأسلمي الذي رواه أهل السنن وابن حبان في صحيحه أن رسول اللّه ﷺ سمع رجلًا يدعو، وهو يقول: «اللّهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت اللّه لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فقال: والذي نفسي بيده لقد سأل اللّه باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى».

فأخبر النبي ﷺ أن الدعاء يُستجاب إذا تقدَّمه هذا الثناء والذِّكْر، وأنه اسم اللّه الأعظم، فكان ذكر اللَّه -عز وجل- والثناء عليه أنجح ما طلَب به العبد حوائجه.

وهذه فائدة أخرى من فوائد الذكر والثناء، أنه يجعل الدعاء مستجابًا.

٢- سؤال: أيهما أفضل للميت الدعاء أم الصدقة؟

الإجابة: لا شك أن الصدقة للميت أجرها عظيم، لكلٍّ مِن المتصدِّق والمتصدَّق عنه، لكن أفضل شيء تعمله للميت هو الدعاء له، واعلم أن دعاءك لوالديك في الصلاة أفضل بكثير من أن تذبح له عشر من نوق (الجمال). [ابن عثيمين، لقاء الباب المفتوح].

٣- سؤال: هل هناك دعاء لحفظ القرآن؟

الإجابة: لا أعرف في ذلك دعاء يُحفظ به القرآن، إلا حديثًا رُوِيَ عن النبي ﷺ علَّمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفي صحته نظر، قال عنه ابن كثير رحمه الله: «إنه مِن البيِّن غرابته بل نكارته».

وقال السيد محمد رشيد رضا في التعليق عليه: بل أسلوبه أسلوب الموضوعات، لا أسلوب أفصح البشر محمد ﷺ، وعليّ رضي الله عنه، ولا أسلوب عصرهما. اهـ.

وقال الذهبي: هذا الحديث منكر شاذ. [العلم لابن عثيمين].

٤- سؤال: ما حكم الاعتداء في الدعاء، وأرجو ضرب أمثلة له؟

الإجابة: الاعتداء في الدعاء محرم لا يجوز، كما

قال -سبحانه-: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

والاعتداء في الدعاء له صور: كأن يسأل العبد ما لا يجوز له سؤاله من المعونة على المحرمات. أو يسأل ما لا يليق به من منازل الأنبياء والمرسلين. أو يسأل ما أخبر اللَّه أنه لا يفعله لمنافاته الحكمة؛ كأن يسأل ربه تخليده إلى يوم القيامة، أو يسأله أن يرفع عنه لوازم البشرية من الحاجة إلى الطعام والشراب، أو يسأله أن يجعله من المعصومين، أو يُطلعه على الغيب، أو يهب له ولدًا من غير نكاح، ونحو ذلك مما سؤاله اعتداء لا يحبه اللَّه، ولا يحب سائله.

ومن الاعتداء رفع الصوت بالدعاء، وأن يعبد اللَّه بما لم يشرعه، أو يثني عليه بما لم يثنِ به على نفسه، ولا أذن فيه، أو يدعوه غير متضرِّع إليه.

ومن الاعتداء أن يدعو مع اللَّه غيره، فهذا أعظم المعتدين عدوانًا، فإن أعظم العدوان الظلم والشرك، وهو وضع العبادة في غير موضعها.

فكل سؤال يناقض حكمة اللَّه، أو يتضمن مناقضة شرعه وقدره وأمره، أو يتضمن خلاف ما أخبر به؛

فذلك كله اعتداءٌ لا يحبه اللَّه ولا يحب سائله. [القرطبي، بتصرف يسير].

٥- سؤال: هل من علامات محبة اللَّه للعبد أن يجيب دعاءه؟

الإجابة: إجابة اللَّه -عزّ وجلّ- دعاء مَن دعاه ليست دليلًا على محبته له ورضاه عنه، إلا في مهمات الدين، ومطالب الآخرة، . . وهذا إبليس سأل اللَّه فأجابه، لما قال: ﴿أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾؛ فأجابه اللَّه: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤- ١٥]؛ فالأمر حسب ما وافق القَدَر. [موسوعة فقه القلوب للتويجري].

٦- سؤال: هل يجوز الدعاء للبعض بقول: طال عمرك؟

الإجابة: أمر الرسول -عليه الصلاة والسلام- بالدعاء مع انطواء العاقبة، فلا حرَج في ذلك، فكلٌّ مَيَسَّرٌ لما سَبَق في علم اللَّه -سبحانه-. ولهذا يجوز أن يقول القائل: مدَّ اللَّه في عمرك، وطوَّل في حياتك، ووسَّع رزقك، ولا يجوز أن يقول: لا أماتك اللَّه أبدًا. [معجم المناهي اللفظية للطرطوشي١/ ٥٥٠].

٧- سؤال: هل إذا أخذ العبد بجميع أسباب الإجابة، وراعَى أوقاتها وأحوالها وأماكنها؛ يُعْطَى كل ما سأل، أم قد يُحرَم بعضها، أو كلها؟

الإجابة: قلت: يجب على الداعي أن يركِّز على احتمالات الإجابة ما بين الدنيا والآخرة، وهي أن يُجاب إلى سؤاله عينه، أو يُصرف عنه من الشر بقَدْره، أو يكون له من الحسنات في الدنيا والآخرة. فهذه علاقة الدعاء بالقَدَر.

ثم ينتبه إلى علاقة الدعاء بالحكمة الإلهية، وهي أن الإنسان قد يدعو بما ظاهره له هو الخير لقصور نَظَره، ويكون في الواقع شرًّا عاجلًا أم آجلًا، فيكون صَرْفُ ذلك عنه، أو تأخيره أحسن له. وقد يكون صرف الإجابة عنه ابتلاءً محضًا، لا يترتب خير عاجل أو آجل إليه إلا على فرض الصبر من العبد، ويكون هذا تكليفه.

- وهذا راجِعٌ إلى أنَّ إجابة الدعاء ليست واجبة على اللَّه أصلًا، إنما أوجبها على نفسه -سبحانه- بما تستلزمه حكمته.

- ومنه أن يكون عدم الإجابة لقصور العبد أو تقصيره، فيكون عدم إجابته نوعًا من العقوبة.

- فتكميل الشروط والآداب من العبد هي بحسب ظنّه، والأصل أن العبد لا يزكي عمله، ويحسب أنه تامّ مقبول، فاعتقاد العبد وجزمه بأن آداب الدعاء متحققة، نوعٌ من تزكية العمل، وهذا ليس بلازم، واللّه الموفق.

٨- سؤال: إذا كان قَدَر اللّه واقعًا لا محالة، فلماذا نتعب أنفسنا بالدعاء؟

الإجابة: هذا يُعتبر تعطيلًا للأسباب، ويقال لمن اعتقد صحة هذا السؤال: إن كان الشِّبَع والرِّيُّ قد قُدِّرَا، لك فلابدَّ من وقوعهما، أكلتَ أو لم تأكلْ، وإن لم يُقَدَّرَا، لم يقعا، أكلتَ أو لم تأكل.

وإن كان الولد قُدِّر لك، فلابدَّ منه، وطئت الزّوجة أو لم تطأ، وإن لم يُقدَّر لم يكن، فلا حاجة إلى الزواج، وهلمّ جرًّا.

فهل يقول هذا عاقلٌ أو آدميٌّ؟ بل الحيوان البهيم مفطورٌ على مباشرة الأسباب الّتي بها قوامه وحياته.

والصّواب هو أنّ هذا المقدور قُدِّرَ بأسبابٍ، ومن أسبابه الدّعاء، فلم يُقَدَّر مجرَّدًا عن سببه، ولكن قُدِّرَ بسببه، فمتى أتى العبد بالسَّبب، وقع المقدور، ومتى

لم يأت بالسّبب انتفى المقدور، وهذا كما قُدِّر الشِّبَع والرِّيّ بالأكل والشّرب، وقُدِّرَ الولد بالوطء، وقُدِّرَ حصول الزّرع بالبذر، وقُدِّر خروج نفس الحيوان بذبحه، وكذلك قُدِّر دخول الجنّة بالأعمال، ودخول النّار بالأعمال، واللّه الموفق. [الفوائد لابن القيم].

٩- سؤال: هل يتلاعب الشيطان بالإنسان، حتى في دعائه؟

الإجابة: نعم يحصل هذا، فكثيرًا ما تجد أدعيةً دعا بها قومٌ فاستجيب لهم، فيكون قد اقترن بالدّعاء ضرورة صاحبه وإقباله على اللّه، أو حسنةٌ تقدَّمت منه جعل اللّه -سبحانه- إجابةَ دعوته شكرًا لحسنته، أو صادف وقت إجابةٍ، ونحو ذلك، فأُجيبت دعوته، فيظنُّ الظّانُّ أنَّ السِّرَّ في لفظ ذلك الدُّعاء فيأخذه مجرَّدًا عن تلك الأمور الّتي قارنته من ذلك الدّاعي، وهذا كما إذا استعمل رجلٌ دواءً نافعًا في الوقت الّذي ينبغي استعماله على الوجه الّذي ينبغي، فانتفع به، فظنَّ غيرُه أنَّ استعمال هذا الدّواء بمجرّده كافٍ في حصول المطلوب؛ كان غالطًا، وهذا موضعٌ يغلط فيه كثيرٌ من النّاس.

ومن هذا قد يتّفق دعاؤه باضطرارٍ عند قبرٍ فيجاب،

فيظنُّ الجاهل أنّ السِّرَّ للقبر، ولم يعلم أنّ السِّرَّ للاضطرار، وصِدْق اللُّجأ إلى اللّه، ولو حصل ذلك في بيتٍ من بيوت اللّه، كان أفضل وأحبَّ إلى اللّه.

[الداء والدواء لابن القيم].

١٠- سؤال: هل كل مَن أجاب اللّه دعاءه يكون اللّه راضيًا عنه وعن عمله؟

الإجابة: ليس كل من أجاب اللّه دعاءه، يكون راضيًا عنه، ولا مُحِبًّا له، ولا راضيًا بفعله؛ فإنه يجيب البَرَّ والفاجر، والمؤمن والكافر، وكثير من الناس يدعو دعاء يعتدي فيه، أو يشترط في دعائه، أو يكون مما لا يجوز أن يسأل، فيحصل له ذلك أو بعضه. فيظن أن عمله صالح مرضي للّه، ويكون بمنزلة مَن أُملِيَ له وأُمِدَّ بالمال والبنين، وهو يظن أن اللّه -تعالى- يسارع له في الخيرات. وقد قال -تعالى-: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤]. فالدعاء قد يكون عبادة فيثاب عليه الداعي.

وقد يكون مسألة تُقضَى به حاجته ويكون مضرة عليه.

إما أن يعاقب بما يحصل له، أو تنقص به درجته،

فيقضى حاجته ويعاقبه على ما جرأ عليه من إضاعة حقوقه واعتداء حدوده [موسوعة فقه القلوب للتويجري].

١١- سؤال: هل يجوز إذا دعا عليَّ شخص ما، أن أدعو عليه، وأرد دعوته عليه؟

الإجابة: إن كان بهتًا لك وكذبًا عليك، أو قذفًا لك أو شهادةً عليك بالزُّور؛ لم يجز له مقابلته بمثله، وإن كان دعاءً عليك أو لعنًا أو مسبَّةً فلك أن ترد بالمثل فقط ولا تزد. [إعلام الموقعين لابن القيم].

١٢- سؤال: قرأت حديثًا للنبي يقول: «لا تدعوا على أولادكم ولا على أموالكم، ولا تدعوا على خدمكم، لا توافقوا من اللّه ساعة لا يسأل فيها شيئًا إلا أعطاه»، وللأسف كلما غضبت على أولادي، بسبب تصرفاتهم، أدعو عليهم، فهل يستجيب اللّه دعوتي عليهم، حقًّا؟

الإجابة: **قلت**: إنَّ للناس دعوات وعبارات يقولونها في حالات معينة، يقصدون بها التعبير عن حالتهم فقط، ولا يقصدون ظاهرها، مثل قول: قاتلك اللّه، تقولها العرب في حال الإعجاب، ومثل قول: ثكلتك أمك، تقولها العرب في حال التوبيخ،

وهكذا، وعليه فإذا كانت دعوتك على ولدك مما جرت به العادة عندكم للتعبير عن حالة الغضب التي تصيبكم، فهذا دعاء لا يستجيبه اللَّه؛ لأنه غير مقصود، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: ١١]، وقد فسَّره السلف بأن اللَّه لا يستجيب إلا ما يقصده العبد حقًّا.

أما إذا دعا الشخص على ولده أو ماله حال الغضب بدعاءٍ على غير ما جرت به العادة في التعبير عن الغضب فقط، - وإن دعا متسرعًا - فإنه يعتبر دعاءً مقصودًا، وقد يستجيبه اللَّه، مثل ما وقع للزمخشري، قال: كنت ألعب بعصفور قد ربطت رِجْله بخيطٍ ثم كسرت رجله، فحزنت أمي للعصفور فدعت عليَّ قائلة: كسر اللَّه رِجْلك، فأصابني داء اضطررت بسببه لقطع رجلي، فكلما نظرت إليها؛ تذكرت دعوةَ أمي.

١٣- سؤال: هل يجوز الدعاء بالعامية؟

الإجابة: من دعا اللَّه مخلصًا له الدِّين بدعاءٍ جائزٍ سمعه اللَّه وأجاب دعاه، سواءٌ كان مُعْرِبًا أو ملحونًا،

وينبغي للدّاعي إذا لم يكن عادته الإعراب أن لا يتكلّف الإعراب، قال بعض السّلف: «إذا جاء الإعرابُ ذهب الخشوعُ»، وهذا كما يُكره تكلُّف السّجع في الدّعاء فإذا وقع بغير تكلّفٍ فلا بأس به، فإنّ أصل الدّعاء من القلب، واللّسان تابعٌ للقلب، ومن جعل همّته في الدّعاء تقويم لسانه، أضعف توجّه قلبه. ولهذا يدعو المضطرّ بقلبه دعاءً يُفتح عليه، لا يحضّره قبل ذلك، وهذا أمرٌ يجده كلّ مؤمنٍ في قلبه، والدّعاء يجوز بالعربيّة وبغير العربيّة، واللّه -سبحانه- يعلم قصد الدّاعي ومراده، وإن لم يُقوِّم لسانه، فإنّه يعلم ضجيج الأصوات، باختلاف اللّغات، على تنوُّع الحاجات. [مجموع الفتاوى لابن تيمية].

١٤- سؤال: حكم السجع في الدعاء؟

الإجابة: السجع في الدعاء من الأسباب التي تصرف القلب عن معرفة اللّه، وتدفعه إلى التعلق بالألفاظ بدلًا مِن الغوص على المعاني، ومن ثَمَّ كرهه العلماء، وقال الطرطوشي: «ويكره السجع في الدعاء وغيره، وليس من كلام الماضين».

وعن عروة بن الزبير أنه كان إذا عرض عليه دعاء فيه

سجع عن النبي ﷺ وعن أصحابه قال: «كذبوا، لم يكن رسول اللَّه ﷺ ولا أصحابه سجَّاعين».

وأخرج البخاري في الصحيح: أن ابن عباس قال لعبيد بن عمير: «اقصص يومًا، ودع يومًا، ولا تُمِلَّ الناس، وإياك والسجع في الدعاء؛ فإن النبي ﷺ وأصحابه كانوا لا يفعلون إلا ذلك، أي: إلا ما نصحتك به ودللتك عليه. [الحوادث والبدع للطرطوشي].

١٥- سؤال: قرأت حديثًا، أن اللَّه يستجيب دعوة الذاكر اللَّه كثيرًا، فما هو الحدّ أو العدد الذي إذا التزمته، أستحق هذا المنزلة؟

الإجابة: إذا واظبت على الأذكار المأثورة صباحًا ومساءً، وفي الأوقات والأحوال المختلفة، ليلًا ونهارًا، كنتَ من الذاكرين كثيرًا. [ابن الصلاح].

قلت: وقد جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصلّيا، أو صليا ركعتين جميعًا كُتِبَا في الذاكرين اللَّه كثيرًا والذاكرات» [رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٣٠٩].

فينبغي لك إن أردت أن تكون بتلك المثابة أن تَلزم

ذِكْر اللَّه -تعالى- ما وَسِعَك، محافظًا على الأذكار الموظفة في الأوقات، (أي: التي تُقال عند دخول المنزل والخروج منه، وعند ركوب السيارة، وعند السفر، وعند النوم والاستيقاظ منه)، مُكْثِرًا من الذِّكْر المُطْلَق، وكلما أكثرت من الذِّكْر كلما زادَ ثوابك وعَظُمَ أجرُك، وكان أَدْعَى لإجابة دعائك.

١٦- سؤال: ما هي أقسام الدعاء، وهل هناك دعاء واجب ودعاء مستحب؟

الإجابة: الدعاء أربعة أقسام وهي:

أولًا: الدعاء الواجب:

كسؤال اللَّه الهداية: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

قال ابن تيمية: «تأملت أنفع الدعاء؛ فإذا هو سؤال اللَّه العون على مرضاته.. ثم رأيته في الفاتحة في ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾».

«النّاس كلّهم مضطرُّون إلى هذا الدّعاء؛ ولهذا فرَضه اللَّه عليهم في كلّ صلاةٍ؛ فليسوا إلى شيءٍ من الدّعاء أحوج منهم إليه، وإذا حصل الهدى إلى الصّراط المستقيم حصل النّصر والرّزق وسائر ما تطلب

النّفوس من السّعادة، واللَّه أعلم» [مجموع الفتاوى].

وقال ابن القيم: «لمّا كان سؤال اللَّه الهداية إلى الصِّراط المستقيم أجلّ المطالب، ونيله أشرف المواهب؛ علَّم اللَّه عباده كيفيَّة سؤاله، وأمرَهم أن يُقدِّموا بين يديه حمده والثّناء عليه، وتمجيده، ثمَّ ذكر عبوديتهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم، توسُّلٌ إليه بأسمائه وصفاته، وتوسُّلٌ إليه بعبوديته، وهاتان الوسيلتان لا يكاد يُرَدُّ معهما الدُّعاء، وقد جمعت الفاتحة الوسيلتين، وهما التَّوسُّل بالحمد، والثَّناء عليه وتمجيده، والتَّوسُّل إليه بعبوديته وتوحيده، ثمَّ جاء سؤال أهمِّ المطالب، وأنجح الرَّغائب وهو الهداية بعد الوسيلتين؛ فالدّاعي به حقيقٌ بالإجابة» [مدارج السالكين].

وقال في موضع آخر: «فأمّا اشتمالها على شفاء القلوب؛ فإنّها اشتملت عليه أتمّ اشتمالٍ، فإنّ مدار اعتلال القلوب وأسقامها على أصلين: فساد العلم، وفساد القصد.

ويترتَّب عليهما داءان قاتلان، وهما: الضَّلال والغضب، فالضَّلال نتيجة فساد العلم، والغضب نتيجة فساد القصد، وهذان المرَضان هما مِلَاك

أمراض القلوب جميعها، فهداية الصِّراط المستقيم تتضمَّن الشِّفَاء من مرض الضَّلال، ولذلك كان سؤال هذه الهداية أفرض دعاءٍ على كلِّ عبدٍ، وأوجبَه عليه كلَّ يومٍ وليلةٍ في كلِّ صلاةٍ؛ لشدَّة ضرورته وفاقته إلى الهداية المطلوبة، ولا يقوم غير هذا السّؤال مقامه. [مدارج السالكين].

ثانياً: الدعاء المستحب:

كسؤال اللَّه الإعانة على ما يحب -سبحانه- كسائر أدعية الرسول ﷺ.

ثالثاً: الدعاء المحرَّم:

كالاعتداء مثل أن يسأل الرَّجل ما لا يَصلح من خصائص الأنبياء، وليس هو بنبيٍّ، وربّما هو من خصائص الرَّبِّ -سبحانه وتعالى-. مثل أن يسأل لنفسه الوسيلة الَّتي لا تصلح إلّا لعبدٍ من عباده، أو يسأل اللَّه -تعالى- أن يجعله بكلّ شيءٍ عليمًا، أو على كلّ شيءٍ قديرًا، وأن يرفع عنه كلّ حجابٍ يمنعه من مطالعة الغيوب. وأمثال ذلك.

رابعاً: الدعاء المباح:

كطلب الفضول الّتي لا معصية فيها، مثل أيّ شيء

من متاع الدنيا، كأن تسأل اللَّه أن يرزقك عملًا أو بيتًا أو مالًا أو سيارةً، أو يُيَسِّر لك الزواج.. أو أي شيء مما أباحه اللَّه لخلقه، فإن الفضل كله بيد اللَّه وحده، وهو -سبحانه- ذو الفضل العظيم.

ملحوظة مهمة:

إذا سأل العبد شيئًا مباحًا من متاع الدنيا، وكان له فيه نية صالحة (كأن يسعى في قضاء حوائج الناس، أو يتفرغ لطلب العلم، والدعوة.... إلخ)؛ أصبح دعاؤه هذا مستحبًا؛ لأنه سأل اللَّه أن يُيَسِّر له سببًا يستعين به على طاعته و مرضاته.

وعلى كل حالٍ، فالعبد مأجورٌ على الدعاء، سواءً سأل اللَّه شيئًا مباحًا أو مستحبًّا أو واجبًا.

١٧- سؤال: كيف يطلب النبي الدعاء مِن غيره، وهو أفضل الناس جميعًا؟

الإجابة: أمّا سؤاله لغيره أن يدعو له: فقد قال النَّبيُّ ﷺ لعمر: «**لا تنسنا من دعائك**» [ضعفه الألباني]، وقال: «إذا سمعتم المؤذِّن: فقولوا مثل ما يقول، ثمَّ صلُّوا عليَّ؛ فإنّه مَن صلَّى عليَّ مرّةً صلّى اللَّه عليه عشرًا، ثمَّ سلوا اللَّه لي الوسيلة؛ فإنَّها درجةٌ في الجنَّة لا

تنبغي إلّا لعبد من عباد اللَّه، وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد، فمن سأل اللَّه لي الوسيلة حلَّت له شفاعتي يوم القيامة». وقد يقال في هذا: هو طلب من الأمّة الدّعاء له؛ لأنّهم إذا دعوا له حصل لهم من الأجر أكثر ممَّا لو كان الدّعاء لأنفسهم، كما قال للّذي قال: أجعل صلاتي كلّها عليك؟ فقال: «إذًا يكفيك اللَّه ما أهمَّك من أمر دنياك وآخرتك».

لو تأملت هذا جيدًا، لتبيَّن لك أن طلبه منهم الدّعاء له إنما هو لمصلحتهم، كسائر أوامره إيّاهم، فإنَّه قد صحَّ عنه ﷺ أنّه قال: «ما مِن رجلٍ يدعو لأخيه بظهر الغيب بدعوة: إلّا وكَّل اللَّه به ملَكًا كلَّما دعا دعوةً قال الملك الموكّل به: آمين ولك مثله»، فالنَّبيُّ ﷺ فيما يطلبه من أمّته من الدّعاء؛ طلبه طلب أمرٍ وترغيبٍ ليس بطلب سؤالٍ. فمن ذلك أمره لنا بالصّلاة والسّلام عليه؛ فهذا أمر اللَّه به في القرآن بقوله: ﴿صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. والأحاديث عنه في الصّلاة والسّلام معروفةٌ، واللَّه الموفق.

١٨- سؤال: هل يجوز طلب الدعاء مِن الغير؟ وأيهما أكثر ثوابًا وأعظم أجرًا؟

الإجابة: الدّعاء للغير يَنتفع به الدّاعي والمدعوّ له، وإن كان الدّاعي دون المدعوّ له. فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به الدّاعي والمدعوّ له.

فمن قال لغيره: ادع لي، وقصد انتفاعهما جميعًا بذلك، كان هو وأخوه متعاونيْن على البرِّ والتّقوى؛ فهو نبَّه المسئول وأشار عليه بما ينفعهما، والمسئول فعل ما ينفعهما بمنزلة مَن يأمر غيره ببرٍّ وتقوى؛ فيُثاب المأمور على فعله، والآمر أيضًا يُثاب مثل ثوابه؛ لكونه دعا إليه.

١٩- سؤال: هل يجوز أن أُخَصِّص بعض الناس بأسمائهم في دعائي مهما كان عددهم؟

الإجابة: **قلت**: لا حرجَ في هذا، بل يكون مستحبًّا، والدعاء للمسلمين بظهر الغيب أجرُه عظيمٌ وفضله كبير، وقد أرشدنا النبي ﷺ إليه، وكان السلف الصالح يَدْعُون لإخوانهم مهما كان عددهم صغيرًا أو كبيرًا، فهذا أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: «إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم»،

والإمام أحمد كان يخص ستة من إخوانه بدعاء السَّحَر منهم الشافعي، وعليه فلا بأس أن تخصَّ بعض إخوانك وأحبابك، بأسمائهم في دعائك. والله الموفق.

٢٠- سؤال: هل يجوز الدعاء لغير المسلم؟

الإجابة: قلت: لا ريب أنّ دعاء الخلق بعضهم لبعض فيه خير ونفع كبير، والله قد أمر بذلك، لكنَّ الدَّاعِي ليس له أن يدعو أو يشفع شفاعةً نُهِيَ عنها؛ كالشّفاعة للمشركين والدّعاء لهم بالمغفرة، وقد قال الله -تعالى-: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٣-١١٤]. وقال -تعالى- في حقّ المنافقين: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦]. وقد ثبت في الصّحيح: أنّ الله نهى نبيّه عن الاستغفار للمشركين والمنافقين، وأخبر أنه لا يغفر لهم. كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]،

وقوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

أما الدعاء لغير المسلم بشيء من متاع الدنيا، كالصحة والمال؛ فلا بأس بهذا، وقد جاء في مسائل إبراهيم الحربي للإمام أحمد: هل يقال لغير المسلم أكرمك اللَّه؟ فقال: نعم، ويريد به أن يكرمه بالإسلام.

٢١- سؤال: قد يكون لي جيران أو زملاء عمل أو زملاء دراسة غير مسلمين، ويعاملونني معاملة طيبة، وقد أضطر لرد بعض إحسانهم بالدعاء، وأجد في نفسي حرجًا، فماذا أفعل؟

الإجابة: قلت: إذا كان هناك حاجة للدعاء لغير المسلم، مكافأة له وجزاءً، مقابل إحسانه، فلا حرج، ويمكنك أن تقول له: أحسن اللَّه إليك، وجزاك اللَّه خيرًا، وإن شئت أن تقول: رضي اللَّه عنك، أو أكرمك اللَّه، أدخلك اللَّه الجنة، ونيتك أن يهديه اللَّه للإسلام، فلا حرَج أيضًا، فإن اللَّه لن يرضى عنه ولن يدخله الجنة، حتى يهديه للإسلام أولًا، واللَّه الموفق.

٢٢- سؤال: ما معنى دعاء النبي : «اللّهمّ طهّرني من خطاياي بالماء والثّلج والبرد»؟ وكيف يطهر اللَّه الذنوب بالماء؟ وفي لفظ آخر (الماء البارد)، مع أن الماء الحارّ أفضل من جهة التطهير؟

الإجابة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الخطايا تُوجِب للقلب حرارةً ونجاسةً وضعفًا، فيرتخي القلب وتضطرم فيه نار الشهوة وتُنَجِّسه، فإن الخطايا والذنوب له بمنزلة الحطب الذى يَمُدُّ النار ويُوقِدها، ولهذا كلما كثرت الخطايا اشتدت نار القلب وضعفه، والماء يغسل الخبث ويطفئ النار، فإن كان باردًا أوْرَثَ الجسم صلابةً وقوةً، فإن كان معه ثلج وبرد كان أقوى في التبريد وصلابة الجسم وشدته، فكان أذهب لأثر الخطايا».

ولمزيد من التوضيح، فاقرأ هذا الكلام القيم من العلامة ابن القيم حيث يقول: «فاعلم أن هاهنا أربعة أمور: أمران حسيان، وأمران معنويان. فالنجاسة التي تزول بالماء هي ومزيلها حِسِّيَّان، وأثر الخطايا التي تزول بالتوبة والاستغفار هي ومزيلها معنويان،

وصلاح القلب وحياته ونعيمه لا يتم إلا بهذا وهذا. فذكر النبي -صلى اللَّه تعالى عليه وآله وسلم- من كلِّ شطر قسمًا نبَّه به على القسم الآخر. فتضمَّن كلامه الأقسام الأربعة في غاية الاختصار، وحُسن البيان. كما في حديث الدعاء بعد الوضوء: «اللَّهمّ اجعلني من التّوّابين، واجعلني من المتطهّرين».

فإنه يتضمن ذكر الأقسام الأربعة. ومن كمال بيانه ﷺ وتحقيقه لما يخبر به، ويأمر به: تمثيله الأمر المطلوب المعنوي بالأمر المحسوس. وهذا كثير في كلامه ﷺ ومنه قوله -تعالى-: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

هنا أمر الحجاج بأن يتزودوا لسفرهم، ولا يسافروا بغير زاد، ثم نبَّههم على زاد سَفَر الآخرة، وهو التقوى. فكما أنه لا يصل المسافر إلى مقصده إلا بزاد يُبَلِّغه إيَّاه، فكذلك المسافر إلى اللَّه -تعالى- والدار الآخرة لا يصل إلا بزادٍ من التقوى، فجمع بين الزادين. ومنه قوله -تعالى-: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ﴾ [الأعراف: ٢٦]؛ فجمع بين الزينتين: زينة البدن

باللباس، وزينة القلب بالتقوى، زينة الظاهر والباطن، وكمال الظاهر والباطن.

فنبَّه -صلى اللَّه تعالى عليه وآله وسلم- بقوله: «اللَّهمّ طهّرني من خطاياي بالماء والثّلج والبرد».

على شدة حاجة البدن والقلب إلى ما يُطهِّرهما ويُبَرِّدهما ويقويهما، وتضمَّن دعاؤه سؤال هذا وهذا، واللَّه -تعالى- أعلم.

وأسرار كلماته وأدعيته -صلى اللَّه تعالى عليه وآله وسلم- فوق ما يخطر بالبال [ابن تيمية / ابن القيم].

٢٣- السؤال: ما حكم الدعاء بغير الأسماء الحسنى مما صح معناه مثل قولهم: يا سامع الصوت ويا سابق الفوت ويا كاسي العظام لحمًا بعد الموت، يا دليل، يا ساتر، ونحو ذلك؟

الإجابة: الحمد للَّه، قال اللَّه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال -تعالى-: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال ﷺ: «إن للَّه تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا؛ من أحصاها

دخل الجنة» [أخرجه البخاري ٧٣٩٢].

والله -تعالى- له أسماء كثيرة؛ كما قال ﷺ في دعاء الهمِّ: «اللَّهم إني أسألك بكل اسم هو لك سمَّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك...» [أخرجه أحمد وابن حبان وصححه الألباني].

والذي يشتق من صفاته الفعلية إذا كان يظهر أنه مختصٌّ بالله فيجوز الدعاء به؛ كفارج الكربات، ومغيث اللهفات، ومصرِّف الرياح، ومجري السحاب وهازم الأحزاب.

وأما إذا كان لا يظهر اختصاصه بالله فلا يجوز الدعاء به. مثل: سامع الصوت، وسابق الفوت. وأما كاسي العظام لحمًا بعد الموت فهو من جنس ما سبق؛ فارج الكربات ومغيث اللهفات.

كذلك لا يُدْعَى -سبحانه وتعالى- بالأسماء التي لا يَصِحّ ذِكْره بها والثناء عليه، وإنما يجوز الإخبار بها عنه، مثل موجود وشيء وواجب الوجود، وأما الدليل والساتر فلم يرد إطلاقهما على الله، لكن إذا قُيِّدَا بما يدل على ما يختص به -سبحانه-؛ جاز

الدعاء بهما، مثل: يا دليل الحائرين، ويا ساتر العورات. فأما دليل الحائرين فقد جاء عن الإمام أحمد أنه قال لرجل: «قل يا دليل الحائرين»، وأما ساتر العورات فهو من جنس مقيل العثرات، لا ينصرف إلا إلى اللَّه -تعالى-. [الشيخ عبد الناصر البراك].

٢٤- سؤال: ما هو اسم اللَّه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى؟

الإجابة: قلت: في تعيين اسم اللَّه الأعظم خلاف معروف بين العلماء، والراجح أن هذا الاسم في مجموع قولك في الدعاء: «اللَّهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت اللَّه، لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام الحي القيوم».

فإذا دعا الإنسان بهذا الدعاء الجامع؛ فإنه حينئذ قد دعا اللَّه -تعالى- وسأله باسمه الأعظم، وهذا مجموعُ مما ورد في النصوص، خاصةً إذا جمع قلبه على ذلك، وصدق انقطاعه لربه ولجؤه إليه، وتنصَّل مِن التعلُّق بالبَشَر، والطمع فيهم.

٢٥- سؤال: هل يجوز أن يدعو الإنسان على نفسه بالموت؟

الإجابة: قلت: يجوز دعاء الرَّجُل أنْ يُقتَل في سبيل اللَّه، وتَمَنِّيه ذلك، وليس هذا مِن تمنِّي الموت المنهيِّ عنه، كما قال عبد اللَّه بن جحش: «اللَّهمَّ لقِّني من المشركين رجلًا عظيمًا كفره، شديدًا حَرَده، فأقاتله، فيقتلني فيك، ويسلبني، ثمّ يجدع أنفي، وأذني، فإذا لقيتك، فقلت: يا عبد اللَّه بن جحش، فِيمَ جُدِعْتَ؟ قلت: فيك يا ربّ».

أما أن يدعو على نفسه بالموت بسبب المصائب والمِحَن الدنيوية، فهذا المنهي عنه.

أما بسبب عدم تمكنك من إقامة شعائر دينك، وشهودك لوفاة إخوانك وأحبابك في اللَّه، الذين كنتم تُعِينون بَعضُكم بعضاً على طاعة اللَّه، وكأن الأرض ضاقت عليك، فلا حرَج، ولكن الأولى لك الصيغة التي علمناها رسول اللَّه ﷺ: «واجعل الموت راحة لي من كل شرٍّ».

وهذا عمر بن عبد العزيز، لما كان في مرضه الَّذي مات منه، وقد مات أعوانه: أخوه سهل، وابنه عبد الملك،

ومولاه مزاحم، قام حبوًا إلى شنٍّ معلَّق، فتوضَّأ منه فأحسن الوضوء، ثمَّ أتى مسجده فصلى ركعتين، ثمَّ قال: «اللَّهمَّ إنّك قد قبضت سهلًا، وعبد الملك، ومزاحمًا، وكانوا أعواني على ما قد علمت، فلم أزدد لك إلّا حبًّا، ولا فيما عندك إلّا رغبةً، فاقبضني إليك غير مُضيِّع، ولا مُفَرِّط»، فما قام من مرضه ذلك حتَّى قبضه اللَّه -تعالى- فرحمه اللَّه.

وأيضًا قد دعا الإمام البخاري، صاحب الصحيح، على نفسه بالموت، لما ابْتُلِيَ في دينه، فلم يستطع قول الحق الذي يدين اللَّه به، فقبضه اللَّه إليه. فرحمه اللَّه.



١٥

فهرس الموضوعات

تم الصف والإخراج
بمؤسسة الجديد النافع
هاتف: ٥٠٥٤١٠٤٤

إلى.. الذين كثرت حاجاتهم في صدورهم
ولم يحسنوا التعبير عنها بألسنتهم.

إلى.. الذين يدعون الله بألسنتهم
ولا يستشعرون لذة الدعاء في قلوبهم.

إلى.. الذين يستعجلون الإجابة، وأضجرهم التأخير
ولم يلتفتوا لحكمة اللطيف الخبير.

إلى.. الذين كثرت ديونهم، وضاقت أحوالهم
وعظم بلاؤهم، واشتد كربهم، وفقدوا أحبابهم.

إلى.. الذين وقعوا في حبائل الشيطان
وفقدوا لذة الإيمان، والقرب من الرحمن.

إليكم جميعاً... كتاب أول مرة أتلذذ بالدعاء.

عادل محمد خليل





@adel_aboadam



الجديد النافع للنشر والتوزيع
Al-Jadeed Al-Nafi3 for Publication & Distribution
حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - محل رقم ١٤
Mob. +965 67644426